

من أقوال المهندس المجاهد عبد الله البرغوثي:

لست كاتبًا محترفًا، فأنا مجرد مقاوم عشق إطلاق الرصاص إلى صدور بني صهيون، وعندما عز الرصاص في بندقيتي لم أجد سوى الرصاص في قلبي، قلم الرصاص، كتبت وسأبقى أكتب وستبقى كلماتي تزعج كل من يقف في طريق المقاومة كل شوكة وكل عقبة وكل مرجف.

الإهداء

إلى والدي الذي علّمني ألا أركع إلا لله عز وجل، وإلى أمي الحبيبة، وإلى روح ابن عمي الشهيد مجد البرغوثي، وإلى شهداء الإسلام وفلسطين.. حسن البنا، سيد قطب، أحمد الياسين، عبد العزيز الرنتيسي.

إلى روح الشهيد سيد القاسم ريفي على درب الجهاد والمقاومة

إلى زوجتي وأبنائي: تالا، أسامة، صفاء

إلى أخويّ: رائف، محمد

إلى أختيّ: ريم، فائدة

وإلى كل من مدّ إليّ يد العون لكي يرى هذا الكتاب النور خارج أسوار الأسر الصهيوني ومعتقلاته..

إلى الصديق الصادق محمود صدقي رضوان

إلى كل أسرى فلسطين الصامدين الثابتين خلف قضبان الاحتلال الصهيوني.. وعلى رأسهم: أحمد ناجي قباها.. أبو الناجي..

فهرس الكتاب

٥	المقدمة
٦	تقدمة الدكتور علي أبو السكر
٨	الفصل الأول: مجد.. مجد الشهيد
٢٦	الفصل الثاني: بوصلة الإنتماء
٤٤	الفصل الثالث: الاستشهاديون رأس الحرية
٥٧	الفصل الرابع: الشورى نهج القسام والإسلام
٦٩	الفصل الخامس: أبجديات القيادة
٨١	الفصل السادس: أبجديات اختيار الأمير القسامي
١٠٠	الفصل السابع: أشواك في درب المجاهدين
١٠٨	الفصل الثامن: بوصلة تحرير القدس
١٢٣	الفصل التاسع: بوصلة الإفتاء الشرعي للأسير والسجن الفلسطيني وغيره من أسرى المسلمين

المقدمة

منك اللهم أستلهم الصواب، وأطلب التوفيق، والحمد لله رب العالمين الذي ما خططت حرفاً إلا وسألته أن يكون مشكاة نور تنير القلوب المستنيرة، وتزيدنا نوراً على نور. أو مشكاة نور تنير القلوب المظلمة، فتنير لها جانباً من جوانب الدنيا والدين.

والصلاة والسلام على قائدنا ونبينا محمد سيد المرسلين وأصحابه ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين، وبعد..

أما كتاب بوصلة المقاومة: كتاب لا يتعدى كونه محاولة متواضعة للسير على الطريق، فالطريق نحو إعلاء كلمة الإسلام والجهاد في سبيل الله طويل وشاق، ولا يمكن السير إليه والوصول لنهايته سالمًا إلا من خلال اتباع تعاليم الله - عز وجل - وتعاليم نبيه المصطفى - صلى الله عليه وسلم -، أي اتباع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؛ ولذلك وجدت أنه من الواجب عليّ وأنا صاحب تجربة مقاومة، أن أزيح الغبار عن البوصلة لعلها ترشد من يسعى إلى أن يُعيد للأمة مجدها نحو الطريق الواجب اتباعه.. قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾.. صدق الله العظيم

إذا اختلف علماء الإسلام رجال العقيدة والشريعة حول مسألة ما في فقه الجهاد.. كان رأي المجاهدين القائمين العاملين هو النافذ الفاعل.. ولذلك يُقدّم رأي المجاهدين على رأي الدعاة، وعلامة ذلك: " لا يفتي قاعد لقائم".

فحن المجاهدون القائمون نتبع قرآن ربنا وسنة قائدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -.

المؤلف العبد الفقير لربه: عبد الله غالب الجمل البرغوثي/أبو أسامة

من قبر العزل الانفرادي الصهيوني

في معتقل عسقلان/جنوب فلسطين المحتلة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين وبعد..

لقد شرفت أن أكتب مقدمة لكتاب ((بوصلة المقاومة)) لرمز من رموز المقاومة، وطود شامخ من جبال فلسطين، ورجل من رجالات الإخوان المسلمين، الذين نقلوا الكلمة إلى فعل، والصمت إلى مقاومة وجهاد، فترجم شعارها (رهبان في الليل فرسان في النهار)، الأخ القائد الكبير عبد الله البرغوثي، الذي كسر بإرادته الحرة الاحتلال، وكسر بقلمه السيال قضبان المعتقلات، فكان هذا الكتاب بما يحويه من خلاصة تجربته في المقاومة والمعتقلات، وما تخللها من تأمر لعملاء الاحتلال على رجال المقاومة، وعلى الحركة الإسلامية، وعلى مشروع الأمة التحرري.

لا شك أن لعتمه الزنازين، وقسوة الأغلال، ومؤامرة العملاء، أثراً في انطلاقة قلم هذا القائد العظيم لوضع هذا الكتاب النفيس، وفي تحري طريق الجهاد والاستشهاد، كيف لا وهو من باع حياته رخيصة لله، ففضى حياته مجاهداً في الميدان، ومقاوماً لإرادة السجان.

اليوم وأنا أكتب هذه المقدمة لهذا الكتاب يكون مجاهدنا الكبير مسطر هذا الكتاب قد قضى ثمانين يوماً في معركة الأمعاء الخاوية التي يخوضها ضد سلطات الاحتلال الصهيوني وسجانهم، بإرادة تهزأ بالموت، بل تطارده، وهو اليوم في غيبوبة عن هذه الدنيا التي عرف طريقه فيها مجاهداً، فكان أسطورة فلسطين، بل أسطورة تاريخية ليحمل لقب صاحب أطول حكم بالسجن عبر التاريخ ٦٧ مؤبد متراكمة و ٥٢٠٠ عام

سائلاً المولى - عز وجل - أن يجمعنا معه، ومع من سار على دربه في هذه الدنيا أعزة شرفاء، وفي الآخرة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

م. علي أبو السكر

يسرني أن أقدم للفصل الأول من هذا الكتاب بقصيدة أخي الشاعر المحرر
من سجون الاحتلال أنس محمد أبو خضير.

القصيدة موجهة للسلطة الفلس - طينية (الدايتونية)

انزع رداك

اترك معافسة النعيم وخذ سلاحك	إني أراك ملوِّعا وأراه شاعك
هلا نظرت لوجهه فانظر إليه	قد تاق شوقا أن تشاركه مساءك
اعزف عليه لحون مجد قد خلا	واترك رصاصك في الوغى يرسم وفاءك
سطر على صدر الحقود بخنجر	إن الظلام تداول واليوم جاعك
لا تلتفت إن كان خطأ أحمر	فخضاب هذا الخط أسقوه دماءك
أفتوك أن قتالهم قد حرم	والخائنون تسير أعينهم وراءك
يتربصون طريق كل مجاهد	ويلاحظون بخسة ليلا فضاءك
سجنوك دون مبرر من ظلمهم	نزعوا رداء حيائهن فانزع رداك
إن لم تقم للثأر أنت بعزة	فاحفر لنفسك حفرة واكتب رثاءك
أعطوا مقاليد الأمور لفاجر	أعلن براءك منهم وانصر ولاءك
فلقد تمادوا في الجرائم يا أخي	فاجعل صراخ نساءهم يملأ سماءك
أكمل حسابك بالسلاح فإن تكن	قطع السلاح شحيحة فاحمل حذاءك

الفصل الأول

مجد.. مجد الشهيد

الفصل الأول

مجد .. مجد الشهيد

لم يكتب الله عزّ وجل لابن عمي مجد الشهادة على يد الصهاينة بني اليهود، ولكنه كتبها على يد أذئاب اليهود وطلابهم، على يد أشباه الرجال، رجالات أوصلو اللعين.. ذلك الاتفاق الذي حوّل جزءاً من أبناء الشعب الفلسطيني الحر إلى جلاّدين طغاة يلاحقون ويقتلون أبناء الحركة الإسلامية.. حماس..، أبناء الإخوان المسلمين ورجال كتائب الشهيد عز الدين القسام.

قبل استشهاد ابن حماس وابن عمي الشهيد.. مجد البرغوثي بأعوام، كنت أنا من وقع بين يدي طغاة السلطة الفلسطينية وجلاّديها، ذقت خلالها أصنافاً من العذاب المتواصل، حتى طلبت نفسي الخلاص من ذلك العذاب الشديد، لم أمت ولم أستشهد على أيدي أولئك الجلاّدين الطغاة، ولكن الله قدر لي بأن أخرج مخضباً بالجراح التي قبل أن تندمل كنت قد بدأت جهادي ضد الصهاينة المحتلين للأراضي الفلسطينية أرض فلسطين. فحملت السلاح وصنعت العبوات الناسفة وأعددت الكمائن والشراك لجنود ذلك العدو الغاصب ولمستوطنيه الحاقدين.

ولكنني للأسف - وعلى الرغم مما كنت أملك بفضل الله من قوة السلاح والعتاد والرجال - لم أوجه بندقيتي ورصاصها نحو أذئاب سلطة أوصلو.. نحو الجلاّدين الطغاة، وليتني فعلت، ليتني كنت أطلق الرصاص وأوجهه نحو العدو الصهيوني تارةً ونحو طغاة السلطة الفلسطينية تارةً أخرى.

وكم ألوم نفسي الآن بعد أن تمادت تلك السلطة في فجورها وطغيانها ضد أبناء فلسطين المجاهدين الثائرين، فأنا لم أكن من ذلك النوع.. الدرويش.. المهادن بل كنت من الشباب المجاهدين الذين يؤمنون بقول الله تعالى الذي جاء به: ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل

الطاغوت﴾ (سورة النساء، الآية ٧٦).

كنت إخوانياً حتى الصميم، وكنت من أولئك الشباب الذين حفظوا رسائل الشهيد الإمام حسن البنا التي وجهها للشباب المسلم، شباب الإخوان المسلمين، محذراً إياهم من أن يكونوا .. دراويش..، فقد قال الإمام الشهيد حسن البنا موجهاً خطابه الحر للشباب المسلم:

أيها الشباب:

مخطئ من يظن أن جماعة الإخوان المسلمين جماعة .. دراويش. قد حصروا أنفسهم في دائرة ضيقة من العبادات الإسلامية، كل همهم صلاة وصوم وذكر وتسبيح، فالمسلمون الأوائل لم يعرفوا الإسلام بهذه الصورة، ولم يؤمنوا به على هذا النحو، ولكنهم آمنوا مع عقيدة وقوة، واعتقدوه نطاقاً كاملاً يفرض نفسه على كل مظاهر الحياة، وينظم أمر الدنيا كما ينظم الأسرة، اعتقدوه نظاماً عملياً وروحياً معاً، فهو عندهم دين ودولة ومصحف وسيف. وهم مع هذا لا يهملون أمر عبادتهم ولا يقصرون في أداء فرائضهم، يحاولون إحسان الصلاة ويتلون كتاب الله ويذكرون الله تبارك وتعالى على النحو الذي أمر به، وفي الحدود التي وضعها لهم. في غير غلو ولا سرف، فلا تنطع ولا تعمق وهم أعرف بقول رسول الله _صلى الله عليه وسلم_: "إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق، فإنّ المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى" وهم مع هذا يأخذون من دنياهم بالنصيب الذي لا يضر بآخرتهم ويعلمون قول الله تبارك وتعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ (سورة الأعراف، الآية ٣٢).

وإن الإخوان المسلمين ليعلمون أن خير وصف لخير جماعة هو وصف أصحاب رسول الله _صلى الله عليه وسلم_. رهبان في الليل فرسان في النهار. وكذلك يحاولون أن يكونوا ويخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين يتبرمون بالوطن والوطنية، فالمسلمون أشد الناس إخلاصاً لأوطانهم وتغانياً في خدمة هذه الأوطان احتراماً لكل من يعمل لها مخلصاً" - رسائل الإمام حسن البنا -.

نعم وألف نعم، فنحن أبناء جماعة الإخوان المسلمين لسنا جماعة دراويش، لا والله فنحن (رهبان في الليل فرسان في النهار) تلك هي بوصلة القرآن والسنة، بوصلة المقاومة التي سار على هداها أبناء المقاومة، (أبناء المقاومة الإسلامية حماس، أبناء كتائب الشهيد عز الدين القسام) .. الجهاد سبيلنا. هتافٌ كنت أردده على الدوام مدرِّكًا ما قاله البنا رحمه الله بأن الجهاد فريضة ماضية إلى يوم القيامة، والمقصود بقول رسول الله _ صلى الله عليه وسلم: "من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات ميتة جاهلية"، وأول مراتبه إنكار القلب وأعلاه القتال في سبيل الله، وبيان ذلك: جهاد اللسان والقلم واليد وكلمة الحق عند السلطان الجائر، ولا تحيا الدعوة إلا بالجهاد في سبيلها وضخامة الثمن الذي يطلب لتأييدها وجزالة الثواب للعاملين.

قال تعالى: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ (سورة الحج، الآية ٨٧).

بعد أن دنس عدو الله شارون باحات المسجد الأقصى، واندلعت الانتفاضة الفلسطينية الثانية، انتفاضة الأقصى المبارك، واندلع معها ذلك الشرر الكائن بقلب الجمر المدفون بالحطب، الشرر والجمر والحب اشتعلوا كلهم ليشعلوا داخلي الغضب، فتمالكت نفسي مقتديًا بقول رسول الله: " ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"، وهكذا ملكت نفسي وقبضت على غضبي، وبدأت الإعداد والاستعداد لخوض المعركة على أرض فلسطين ضد بني صهيون، ولأن الواحد القهار قد قال: ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ (سورة المائدة، ٦٨).

لأن الخطر الذي يشكّله الكيان الصهيوني على الإسلام بشكل عام، وعلى المسلمين بشكل خاص، وعلى أهل فلسطين بشكل أخص، هو الخطر الأدهى والأكبر، فهو خطر حافل بالدسائس والمؤامرات، حافل بالمكر والخبائث والخداع والفتن، خطرٌ أصبح أشباه الرجال من أذئاب أوصلو جزءًا منه، بعد

أن سَخَرُوا كل إمكانيات أجهزة أمن السلطة الفلسطينية لتكون يداً تضرب بكل ما أوتيت من قوة، كل ما يمت للمقاومة والإسلام بصلة فلم يكن خافياً عن القاصي والداني النهج الذي تتبعه تلك السلطة، سلطة الفساد والإفساد، ومن بعده نهج أنور السادات، وأخيراً نهج حسني مبارك، فعلى الرغم من اختلاف نهج أولئك في إدارة شؤون جمهورية مصر العربية من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، إلا أنهم وبلا استثناء أجمعوا على محاربة الإخوان المسلمين، أجمعوا على تقتيلهم وتشريدهم والقضاء عليهم بأيدي البريطانيين تارةً، والأمريكان تارةً أخرى، والصهاينة اليهود تارةً أخرى وتارات.

وهنا، أجد نفسي ملزماً بإيضاح ما قام به أولئك الحكام الطغاة، ثم أعود إلى ما تقوم به سلطة أوصلو الآن، لقد أمر جمال عبد الناصر (رئيس جمهورية مصر العربية) في ذلك الوقت بتشكيل لجنة عليا لدراسة واستعراض الوسائل التي استعملت والنتائج التي تم الوصول إليها بخصوص مكافحة جماعة الإخوان المسلمين.

وهذا هو نص الوثيقة الخطيرة التي قدمها المسؤولون عن إبادة الحركة الإسلامية في عام ١٩٦٥-١٩٦٧ إلى رئيس الجمهورية المصرية جمال عبد الناصر في ذلك الوقت، وقد أقرها الرئيس ونفذت حرفياً في الدعوة الإسلامية، وأرفق ملحفاً لهذه الرسالة ليتعظ بها الدعاة إلى الإسلام، وليعلم أبناء الحركة الإسلامية في فلسطين وأبناء حركة الإخوان في مصر وسائر أنحاء العالم حقيقة الوجه القذر لذلك الزعيم الفاسد وحقبة حكمه المظلمة.

نص الوثيقة كما يأتي:

بناءً على أمر السيد رئيس الجمهورية بتشكيل لجنة عليا لدراسة واستعراض الوسائل التي استعملت والنتائج التي تم الوصول إليها بخصوص مكافحة جماعة الإخوان المسلمين المغلة لوضع برنامج لأفضل الطرق التي يجب استعمالها في قسمة مكافحة الإخوان بالمخابرات والمباحث العامة لبلوغ هدفين:

١- غسل مخ الإخوان المسلمين من أفكارهم.

٢- منع عدوى أفكارهم من الانتقال لغيرهم.

اجتمعت اللجنة المشكّلة من:

١- سيادة رئيس مجلس الوزراء

٢- السيد قائد المخابرات

٣- السيد قائد المباحث الجنائية العسكرية

٤- السيد مدير المباحث العامة

٥- السيد مدير مكتب السيد المشير

وذلك في مبنى المخابرات العامة بكبيري القبة، وعقدت اجتماعات متتالية، وبعد دراسة كل التقارير والبيانات والإحصاءات السابقة، أمكن تلخيص المعلومات المجتمعة من الآتي:

١- تبين أن تدريس التاريخ الإسلامي في المدارس للنشء بحالته القديمة يربط السياسة بالدين في لا شعور كثير من التلاميذ منذ الصغر ويصل تتابع ظهور مكتنفي الأفكار الإخوانية.

٢- صعوبة واستحالة التمييز بين أصحاب الميول والنزعات الدينية، وبين مكتنفي الأفكار الإخوانية، وسهولة فجائية تحوّل الفئة الأولى إلى الثانية بتطرّف أكبر.

- ٣- غالبية أفراد الإخوان عاش وهم الطهارة ولم يمارس الحياة الاجتماعية الحديثة، ويمكن اعتبارهم من هذه الناحية ..خام..
- ٤- غالبيتهم ذوو طاقة فكرية وقدرة تحمّل ومثابرة كبيرة على العمل، وقد أدى ذلك إلى اضطراد (زيادة) دائمة وملموسة في تفوقهم في المجالات العلمية والعملية التي يعيشون فيها، وفي مستواهم العلمي والفكري والاجتماعي بالنسبة لأفرادهم، رغم أن جزءًا غير بسيط من وقتهم موجّه لنشاطهم الخاص بدعوتهم المشؤومة.
- ٥- هناك انعكاسات إيجابية سريعة تظهر عند تحرك كل منهم للعمل في المحيط الذي يقتنع به.
- ٦- تداخلهم في بعض ودوام اتصالاتهم الفردي ببعض وتزاورهم والتعارف بين بعضهم البعض يؤدي إلى ثقة كل منهم في الآخر ثقة كبيرة.
- ٧- هناك توافق روحي وتقارب فكري وسلوكي يجمع بينهم في كل مكان، حتى ولو لم تكن هناك صلة بينهم.
- ٨- رغم كل المحاولات التي بذلت منذ ١٩٣٦ لإفهام العامة والخاصة بأنهم يتسترون خلف الدين لبلوغ أهداف سياسية، إلا أن احتكاكهم الفردي بالشعب يؤدي إلى محو هذه الفكرة عنهم رغم أنها يقين بالنسبة لبعض زعمائهم.
- ٩- تزعمهم حروب العصابات في فلسطين سنة ١٩٤٨ والقتال سنة ١٩٥١ رسّخت في أفكار الناس صورهم كأصحاب بطولات وطنية عملية وليست دعائية فقط، بجوار أن الأطماع الإسرائيلية والاستعمارية والشيوعية في المنطقة لا تخفي أغراضها في القضاء عليهم ..القضاء على الإخوان المسلمين ..
- ١٠- نفورهم من كل من يعادي فكرتهم جعلهم لا يرتبطون بأي سياسة خارجية سواء غربية أو شيوعية أو استعمارية، وهذا يوحي لمن ينظر لماضيهم بأنهم ليسوا عملاء لأحد.

وبناءً على ذلك، رأت اللجنة أن الأسلوب الجديد في مكافحة الإخوان المسلمين يجب أن يشمل أساساً بندين متداخلين، وهما:

- محو فكرة ارتباط السياسة بالدين الإسلامي.
- إبادة تدريجية بطيئة مادية ومكتوبة وفكرية للجيل القائم فعلاً والموجود في مكتنفي فكر الإخوان المسلمين.

ويمكن تلخيص أسس الأسلوب الذي يجب استخدامه لبلوغ هذين الهدفين في الآتي:

أولاً: سياسة وقائية عامة:

١- تغيير مناهج تدريس التاريخ والدين في المدارس وربطها بالمعتقدات الاشتراكية، وبأوضاع اجتماعية واقتصادية وليست سياسية، مع إبراز مفاصد الخلافة الإسلامية وخاصة زمن الخلافة العثمانية، وإظهار تقدّم الغرب السريع عقب هزيمة الكنيسة وإقصائها عن السياسة.

٢- التحري الدقيق عن رسائل وكتب ونشرات ومقالات الإخوان المسلمين في كل مكان، مع مصادرتها وإعدامها.

٣- يحرم بتاتاً قبول ذوي الإخوان المسلمين وأقاربهم حتى الدرجة الثالثة من القرابة من الانخراط في السلك العسكري أو البوليسي أو السياسي، مع سرعة عزل الموجودين من هؤلاء الأقارب عن هذه الأماكن أو نقلهم إلى أماكن أخرى في حال ثبوت ولائهم.

٤- مضاعفة الجهود المبذولة في سياسة العمل الدائم على فقدان الثقة بينهم وتحطيم وحدتهم بشتى الوسائل، وخاصة طريق إكراه البعض على كتابة تقارير عن زملائهم بخطفهم ثم مواجهة الآخرين ببعضهم، مع منع كل من الطرفين من لقاء الآخر أطول فترة ممكنة لتزيد شقة انعدام الثقة بينهم.

٥- بعد دراسة عميقة لموضوع المتدينين من غير الإخوان المسلمين، وهم الذين يمثلون الاحتياطي لهم، وجد أن الأفضل أن يبدأ بتوحيد معاملتهم بمعاملة الإخوان المسلمين قبل أن يفاجئونا كالعادة باتحادهم معاً علينا. ومع

افتراض احتمال كبير لوجود أبرياء كثيرين منهم، إلا أن التضحية بهم خير من التضحية بالثورة في يوم ما على أيديهم، ولصعوبة التمييز بين الإخوان والمتدينين بوجه عام، فلا بد من وضع الجميع ضمن فئة واحدة، ومراعاة ما يلي منهم:

أ. تضيق فرص الظهور والعمل أمام المتدينين عمومًا في المجالات العلمية والعملية.

ب. محاسبتهم بشدة وباستمرار على أي لقاء فردي أو زيارة أو اجتماعات تحدث بينهم.

ت. عزل المتدينين عمومًا عن أي تنظيم أو اتحاد شعبي أو حكومي أو اجتماعي أو طلابي أو عمالي أو إعلامي.

ث. التوقف عن السياسة السابقة في السماح لأي متدين بالسفر للخارج للدراسة أو العمل، حيث فشلت هذه السياسة في تطوير معتقداتهم وسلوكهم، وعدد بسيط جدًا منهم هو الذي تجاوب مع الحياة الأوروبية في البلاد التي سافروا إليها، أما غالبيتهم فإن من هبط منهم في مكان بدأ ينظم فيه الاتصالات والصلوات الجماعية أو المحاضرات لنشر أفكارهم.

ج. التوقف عن سياسة استعمال المتدينين في حرب الشيوعيين، واستعمال الشيوعيين في حربهم بغرض القضاء على الفئتين، حيث تفوق المتدينون في هذا المجال، ولذلك يجب أن تعطى الفرصة للشيوعيين لحربهم وحرب أفكارهم ومعتقداتهم مع حرمان المتدينين من الأماكن الإعلامية.

٦- تشويش الفكرة الموجودة عن الإخوان المسلمين في حرب فلسطين والقتال، وتكرار النشر بالتلميح والتصريح عن اتصال الإنجليز بالهضبيبي وقيادة الإخوان المسلمين حتى يمكن غرس فكرة أنهم عملاء للاستعمار في ذهن الجميع.

٧- الاستمرار في سياسة الإيقاع بين الإخوان المقيمين في الخارج، وبين الحكومات العربية وخاصة من الدول الرجعية الإسلامية المرتبطة بالغرب، وذلك بأن يروج عنهم في تلك الدول أنهم عناصر منحرفة ومعادية لهم، وبأنهم يضرّون بمصالحها، وبهذا تسهل محاصرتهم في الخارج أيضًا.

ثانيًا: سياسة (استتصال) السرطان الموجود الآن:

بالنسبة للإخوان المسلمين الذين اعتقلوا أو سجنوا في أي عهد من العهود، يعتبرون جميعًا قد تمكّنت منهم الفكرة، كما يمكّن السرطان من الجسد، ولا يرجى شفاؤه، ولهذا تجري عملية استئصالهم كالاتي:

المرحلة الأولى:

إدخال كل من ينتمي لحركة الإخوان المسلمين في سلسلة متصلة متداخلة من المتاعب، تبدأ بالاستيلاء أو وضع الحراسة على أموالهم وممتلكاتهم، ويتبع ذلك اعتقالهم، وأثناء الاعتقال يستعمل معهم أشد أنواع الإهانة والعنف والتعذيب على مستوى فردي ودوري، حتى يصيب الدور الجميع، ثم يعاد وهكذا وفي نفس الوقت، لا يتوقف التكرار على المستوى الجماعي، بل يكون ملازمًا للتأديب الفردي، وهذه المرحلة إن نفذت بدقة ستؤدي إلى ما يأتي:

- بالنسبة للمعتقلين: اهتزاز المثل والأفكار في عقولهم وانتشار الاضطرابات العصبية والنفسية والعاهاات والأمراض فيهم.

- بالنسبة لنسائهم: سواء كنّ زوجات أو أخوات أو بنات، فسوف يتحررن ويتمردن بغياب عائلهن، وحاجاتهن المادية قد تؤدي إلى انزلاقهن.

- بالنسبة للأولاد: تضطر العائلات لغياب العائل وحاجاتهم المادية إلى توقيف الأبناء عن الدراسة وتوجيههم للحرف والمهن، وبذلك يخلو جيل الموجهين المتعلمين القادم ممن في نفوسهم حقد أو ثأر أو آثار من أفكار آبائهم.

المرحلة الثانية:

إعدام كل من ينظر إليه بينهم كداعية، ومن تظهر عليه الصلابة سواء داخل السجون والمعتقلات أو المحاكمات، ثم الإفراج عن الباقي على دفعات، مع عمل الدعاية اللازمة لإلغاء أنباء العفو عنهم، حتى يكون ذلك سلاح بيدنا يمكن استعماله ضدهم من جديد في حالة الرغبة في العودة لاعتقالهم، حيث يتهمون بأي تدبير، ويوصفون حين ذلك بالجحود المتكرر لفضل العفو عنهم، وبهذه المرحلة إن حسن تنفيذها بإشراكهم مع المرحلة السابقة ستكون النتائج كما يلي:

- ١- يخرج المعفو عنه إلى الحياة، فإن كان طالبًا فقد تأخر عن أقرانه، ويمكن أن يفصل من دراسته ويحرم من متابعة تعليمه.
- ٢- إن كان موظفًا أو عاملاً، فقد تقدم زملاؤه وترقوا، وهو قابض مكانه، ويمكن أيضًا أن يحرم من العودة إلى وظيفته أو عمله.
- ٣- إن كان تاجرًا، فقد أفلس تجارته ويمكن أن يحرم من مزاولته تجارته.
- ٤- إن كان مزارعًا، فلن يجد أرضًا يزرعها، حيث وضعت تحت الحراسة أو صدر بها قرار استيلاء.

وسوف تشترك جميع الفئات المعفو عنها في الآتي:

- ١- الضعف الجسماني والصحي والسعي المستمر خلف العلاج، والشعور المستمر بالضعف المانع من أية مقاومة.
- ٢- الشعور العميق بالنكبات التي جرتها عليهم دعوة الإخوان المسلمين وكرهية الفكرة والنقمة عليها.
- ٣- عدم ثقة كل منهم في الآخر، وهي نقطة لها أهميتها في انعزالهم عن الجميع وانطوائهم على أنفسهم.
- ٤- خروجهم بعائلاتهم من مستوى اجتماعي إلى مستوى أقل، نتيجة لعوامل الافتقار التي أحيطت بهم.

٥- تمرّد نسائهم وثورتهم على تقاليدهم، وفي هذا إذلال فكري ومعنوي يكون النساء في بيوتهم سلوكهن يخالف أفكارهم، وتبعاً للضعف الجسماني والمادي لا يمكنهم الاعتراض.

٦- كثرة الديون عليهم نتيجة لتوقّف إيراداتهم واستمرار مصروفات عائلاتهم.

إن النتائج الجانبية لهذه السياسة هي:

١- الضباط والجنود الذين يقومون بتنفيذ هذه السياسة، سواء من الجيش أو البوليس سيُعتبرون فئة جديدة ارتبط مصيرها بمصير نظام الحكم القائم ليحميهم من أي عمل انتقامي، قد يقوم به الإخوان المسلمين كثر.

٢- إثارة الرعب في نفوس كل من تسوّّل له نفسه القيام بمعارضة فكرية للحكم القائم.

٣- وجود الشعور الدائم بأن المخابرات تشعر بكل صغيرة وكبيرة، وأن المعارضين لن يتستروا، وسيكون مصيرهم أسوأ مصير.

٤- محو فكرة ارتباط السياسة بالدين الإسلامي..

انتهى، ويعرض على السيد جمال عبد الناصر

إمضاء

: السيد رئيس مجلس الوزراء

: السيد قائد المخابرات

: السيد قائد المباحث الجنائية العسكرية

: السيد مدير المباحث العامة

: السيد شمس بدران

وهنا أقول، أن تلك كانت النتائج التي وصل إليها رجالات نظام جمال عبد الناصر، والتي عمل هو على تطبيق ما بداخلها من توصيات بحذافيرها، مما أدى إلى تعذيب الآلاف من رجالات وأبناء حركة الإخوان المسلمين في مصر بذلك الزمان، وتلك الفترة المظلمة التي امتدت لمن خلفه من زعماء أمثال: أنور السادات وحسني مبارك.

والناظر لتلك التوصيات، يرى وبشكل جلي وواضح، أن أشباه الرجال (رجال أو سلو) قد طبقوها وطبقوا ما فيها من خسة ونذالة، بل زادوا عليها بأن جعلوا خيانتهم وتعاونهم وتنسيقهم الأمني مع الصهاينة وجهة نظر، نعم وجهة نظر، فهم يسوقون عبر أبقاقهم الإعلامية أن تنسيقهم الأمني مع الصهاينة إنما يهدف إلى خدمة القضية ليس إلا.. وما أشبه ريتشارد ميتشل بدايتون كما أشبه الأمس باليوم، شبةً يصل إلى درجة التطابق التام، وسوف نجد هذا الشبه عندما أستعرض معكم وأضع بين أيديكم تقريراً مقدماً من أحد كبار العاملين في الجاسوسية الأمريكية في الشرق الأوسط إلى المخابرات الأمريكية، والذي ينصح فيه بخطة جديدة لتصفية الحركات الإسلامية في الأمة الإسلامية، وجاء فيه:

من ريتشارد ب- ميتشل إلى رئيس هيئة الخدمة السرية بالمخابرات المركزية الأمريكية:

بناءً على ما أشرت إليه من تجميع للمعلومات لديكم من عملائنا ومن تقارير المخابرات الإسرائيلية والمصرية التي تفيد أن القوى الحقيقية التي يمكن أن تقف في وجه اتفاقية السلام المزمع عقدها بين مصر وإسرائيل هي التجمعات الإسلامية، وفي مقدمتها الإخوان المسلمين بصورها المختلفة في الدول العربية وامتدادها في أوروبا وأمريكا الشمالية، وبناءً على نصح المخابرات الإسرائيلية من ضرورة ضربة قوية لهذه الجماعة في مصر قبل توقيع الاتفاق ضماناً لتوقيعه، ثم لاستمراره، وفي ضوء التنفيذ الجزئي لهذه

النصيحة من قبل حكومة السيد ممدوح سالم باكتفائها بضرب جماعة التكفير والهجرة.

ونظرًا لما لمسناه من أنّ رسائل القمع والإرهاب التي اتبعت في عهد الرئيس جمال عبد الناصر قد فشلت، وقد أدت إلى تعاطف جماهير المسلمين وإقبال الشباب عليها، مما أدى إلى نتائج عكسية، فإننا نقترح الوسائل التالية كحل بديلة:

أولاً: الاكتفاء بالقمع الجزئي دون القمع الشامل، والاقتران فيه على الشخصيات القيادية التي لا تصلح معها الوسائل الأخرى المبينة فيما بعد، ونريد التخلص من هذه الشخصيات بطرق تبدو طبيعية، ولا بأس من الإسراع بالتخلص من بعض الشخصيات الإسلامية الموجودة بالمملكة العربية السعودية نظرًا لأن التخلص من أمثال هؤلاء يحقق المراد من القمع الجزئي ويعمل على تدهور الثقة بين الإخوان المسلمين وبين الحكومة السعودية، مما يحقق أهدافنا في هذه الفترة.

ثانيًا: بالنسبة للشخصيات القيادية التي تقرر التخلص منها، فننصح باتباع ما يلي:

١- تعيين من يمكن إغراؤهم بالوظائف العليا، حيث يتم شغلهم في الأمور الإسلامية الفارغة المضمون وغيرها من الأعمال التي تستنفد جهودهم، وذلك مع الإغراق عليهم أدبيًا وماديًا وتقديم تسهيلات كبيرة لذويهم، وبذلك يتم استهلاكهم محليًا وفصلهم عن قواعدهم الجماهيرية.

٢- العمل على جذب ذوي الميول التجارية والاقتصادية إلى المساهمة في المشاريع المصرية الإسرائيلية المشتركة المزمع إقامتها بمصر بعد الصلح.

٣- العمل على إيجاد فرص عمل في البلاد العربية البترولية، الأمر الذي يؤدي إلى إبعادهم عن النشاط الإسلامي.

٤ - بالنسبة للعناصر الفعالة في أوروبا وأمريكا، ننصح بما يلي:
أ) استفاد جهدهم في طبع وإصدار الكتب الإسلامية مع إحباط نتائجها.
ب) تفرغ طاقاتهم في بذل الجهود مع غير المسلمين ثم إفسادهم بواسطة مؤسساتنا.

ث) بث بذور الشك والشقاق بين قياداتهم ليشغلوا بها عن النشاط المثمر.
ثالثاً: بالنسبة للشباب، نركز على ما يلي:

١ - محاولة تفرغ طاقاتهم في الطقوس التعبدية التي تقوم عليها قيادات كهنوتية إسلامية متجاوبة مع السياسات المرسومة من قبل الحكومة.
٢ - تعميق الخلافات المذهبية والفرعية وتضخيمها في أذهانهم.
٣ - تشجيع الهجوم على السنة المحمدية والتشكيك فيها وفي المصادر الإسلامية الأخرى.

٤ - تفتيت الجماعات والتجمعات الإسلامية المختلفة وبث التنازع داخلها وفيما بينها.

٥ - مواجهة إقبال الشباب من الجنسين على الالتزام بالتعاليم الإسلامية، خاصة التزام الفتيات بالزي الإسلامي الشرعي والحجاب، وذلك عن طريق النشاط الإعلامي والثقافي المتجاوب مع العصر والموضة.

٦ - استمرار المؤسسات التعليمية في مختلف مراحلها في حصار الجماعات الإسلامية والتضييق عليها والتقليل من أنشطتها.

هذا ما نراه من مقترحات حلاً لمشكلة التجمعات الإسلامية في هذه الفترة الدقيقة، وفي حالة اقتناعكم بها، نرجو توجيه النصح للجماعات المعنية للمبادرة بتنفيذها مع استعدادنا هنا للقيام بالدور اللازم من التنفيذ.

توقيع: ريتشارد ب ميشيل

ما إن وافقت المخابرات الأمريكية على التوصيات التي وردت في التقرير، حتى أرسل إلى المخابرات المصرية والتي عملت بدورها على تطبيق ما جاء به، ساعين من خلال ما قامت به إلى إرضاء البيت الأبيض الأمريكي، وإلى إرضاء شركائهم الجدد في المعادلة.. جهاز الموساد الصهيوني..

فقد تحالفت الأطراف الثلاثة ضد جماعة الإخوان المسلمين من أجل القضاء عليها، ومحوها من الوجود، وما هي اليوم السلطة الفلسطينية سلطة أو سلو وأجهزتها الأمنية تضع ثققتها بالجنرال دايتون من أجل أن يساعدها على القضاء على حركة المقاومة الإسلامية حماس مما أدى إلى ارتقاء عدد من الشهداء جرّاء التعذيب الذي يتعرضون له. ومن بين هؤلاء كان المؤذن مجد البرغوثي ابن قرية كوبر، جرّاء ما تعرض له من عذاب وتعذيب.

عندما حدث ذلك كله لابن عمي مجد، كنت ومازلت أسيراً في زنزانة العزل الانفرادي في سجن عسقلان الصهيوني، وكان قد زجّ بي بتلك الزنزانة الانفرادية بعد أن تعرّضت لتحقيق همجي بربري دام لسته أشهر متواصلة، لم يتمكن الصهاينة خلالها من الحصول فيها على شيء بفضل الله وعونه.. زجّ بي بتلك الزنزانة على هيئة كومة من العظام المحطمة.

ذلك كله لم يؤثر بي قيد أنملة، أما استشهاد مجد، فقد ترك داخلي المآ وجرحاً لن يندمل.. مستذكراً دماء الشهيد مجد البرغوثي ودماء من استشهاد من أبناء فلسطين على يد أجهزة سلطة أو سلو أو على يد قوات الاحتلال الاسرائيلي.. بدأت كتابة هذا الكتاب، أو هذه الدراسة المقارنة بين الأنظمة القمعية التي تكالبت على الحركة الإسلامية هناك في مصر وفي سوريا وهنا في فلسطين وهناك في ليبيا وتونس وفي العديد من البلاد العربية أو الإسلامية.

ولأنني لست من أولئك الذين يبكون على الأطلال، فقد قرّرت أن أجول بفكري وأفكاري متذكراً تلك القصيدة، فأنا ما زلت حتى يومنا هذا صاحب أكبر حكم بتاريخ القضية الفلسطينية، صاحب الحكم بسبعة وستين مؤبداً وخمسة آلاف ومئتي عام، فأنا وبحمد الله وتوفيقه تمكّنت من قتل سبعة وستين صهيونياً، ومن إصابة خمسمئة وعشرين من الصهاينة بجروح أدت بهم إلى أن يصابوا بعاهاث دائمة، وأنا أيضاً صاحب الحكم الأكبر بتاريخ الشاباك (الإسرائيلي)، أنا ابن كتائب الشهيد عز الدين القسام، كتائب العز والشرف، وها أنا اليوم أعرض تلك القصيدة المقاومة عليك أخي القارئ الكريم، لعكّك تستفيد مما فيها إذا ما قرّرت يوماً أن تسلك درب الجهاد والمقاومة ضد الصهاينة المحتلين، أو ضد حكامٍ فاجرين.

وهذه القصيدة المقاومة سوف تشتمل بادئاً ذي بدء بوصلة حركة إسلامية تشير نحو درب الجهاد، مزيلاً عن ذلك الدرب العوائق والمصاعب، ممهدةً الطريق ومنيرة إياه بإذن الله تعالى.

فبوصلة المقاومة هي بوصلة الشهيد عز الدين القسام الذراع العسكري لحركة المقاومة الإسلامية حماس المنبثقة عن جماعة الإخوان المسلمين.. تلك الجماعة التي أسسها الشهيد الإمام حسن البنا -رحمة الله عليه- ومن بوصلة الانتماء سوف أبدأ بإذن الله..



الفصل الثاني

بوصلة الانتماء

الفصل الثاني

بوصلة الانتماء

إن الانتماء إلى جماعة الإخوان المسلمين أو إلى حركة المقاومة الإسلامية لا يكون إلا من خلال عقيدة تأكد عمقها، وفكرٍ يضرب جذوره عميقاً، أما الانتماء إلى كتائب الشهيد عز الدين القسام فهو انتماء لا يكتمل ما لم يكن انتماءً عقائدياً مصيرياً.

فابن القسام لا يصبح قسامياً إلا إن كان إخوانياً حماسوياً، ولا يتم ذلك من خلال التردد إلى منتديات الحركة ومراكزها أو من خلال تقديم طلب للانتساب، ولا من خلال حضور الندوات والاجتماعات، فنحن حركة أبعد ما تكون عن الانتماء الشكلي أو الانتماء العضوي أو العاطفي.

فالانتماء إلى الحركة الإسلامية أي الانتماء إلى دين الله والامتثال إلى أوامره، طمعاً في رحمته ورضاه، وإعلاء كلمته في الدنيا، وسعيًا لدخول جنة الخلد في الآخرة، فالانتماء للحركة يعني التجرد من الذات وحشد الطاقة الفردية في خدمة الإسلام، وهنا لا يصلح العمل ما لم تكن النية خالصة لله _عز وجل_.

"إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه".

ولأن الارتباط نابع من الانتماء المصيري للحركة الإسلامية، فإن مصير المنتمي يرتبط بمصير الجماعة، ولذلك فهو انتماء وارتباط لا انفكاك فيه ولا هروب منه أو نكوث عنه، فالمنتمي المخلص هو من يقبض على الجمر مجتازاً العقبات التي يضعها المرجفون في طريقه، وقد قال الإمام الشهيد حسن البنا في رسالته المسماة رسالة (بين الأمس واليوم) بعنوان العقبات في طريقنا: أحب أن أصارحكم أن دعوتكم ما زالت مجهولةً عند كثير من الناس،

ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها ستلقى منهم خصومةً شديدةً وعداوةً قاسيةً، وستجدون أمامكم كثيرًا من المشقات، وستعرضكم كثير من العقبات. في هذا الوقت وحده، تكونون قد بدأتُم تسلكون سبيل أصحاب الدعوات، أما الآن فما زلتُم مجهولين وما زلتُم تمهدون للدعوة وتستعدون لما تطلبه من كفاح وجهاد، سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبةً في طريقكم وستجدون من أهل التدين من العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام والزعماء وذوي الجاه والسلطان، وستقف في وجهكم كل الحكومات على السواء، وتحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم وأن تضع العراقيل في طريقكم، وسيتضرع الغاضبون بكل طريقة لمناهضتكم وإطفاء نور دعوتكم، وسيستعينون في ذلك بالحكومات الضعيفة والأخلاق الضعيفة والأيدي الممتدة إليهم بالسؤال وإلحاحكم بالإساءة والعدوان، ويثير الجميع حول دعوتكم غبار الشبهات وظلال الاتهامات وسيحاولون أن يلصقوا بها كل نقيصة وأن يظهروها للناس في أبشع صورة معتمدين على قوتهم وسلطانهم ومعتدين بأموالهم وينفذهم، وقد جاء في قوله تعالى: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ (سورة التوبة، الآية ٣٢)

وستدخلون بذلك، ولا شك، في دور التجربة والامتحان فتسجنون وتقتلون وتشردون وتصادر مصالحكم، وتعطل أعمالكم، وتفتش بيوتكم، وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان.

﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنواهم لا يفتنون﴾ (سورة العنكبوت، الآية ٢). ولكن الله وعدكم من بعد ذلك كله نصره المجاهدين، ومثابة العاملين المحسنين. ﴿يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم (١٠) تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (١١) يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنت عدن ذلك الفوز العظيم (١٢) وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح

قريب وبشر المؤمنين (١٣) يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فأمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴿ (سورة الصف، الآية ١٠-١٤).

فإن كان جوابك: نعم، بعد أن أدركت يا من تسعى إلى أن تكون إخوانياً حماسوياً ومقاوماً قسامياً فإن العقبات كبيرة، والمصاعب جمّة، فتوكّل على الله وليكن مصيرك من مصير الدعوة والداعين إلى نصره الله وحمل راية المقاومة والجهاد في وجه الظلم والظلام، في وجه الصهاينة المحتلين والحكام الفاسدين الظالمين.

فابن كتائب الشهيد عز الدين القسام صادق كل الصدق، مخلص كل الإخلاص في أداء واجبه الجهادي، وهو يبذل كل البذل وعظيم التضحية والفداء في سبيل الله وفي سبيل إعلاء كلمة الله وكلمة الحق المبين، وهو أيضاً يردد بيت الشعر القائل:

ولست أبالي حين أُقتل مسلماً على أي جنبٍ كان في الله مصرعي

فابن القسام عليه أن يوجّه بوصلته بندقية نحو العدو الصهيوني مؤكداً بكل عزة وفخر أن الإسلام هو المنهج الوحيد القادر على إعداد الأمة وتهيئتها لمواجهة كل أنواع التحديات ولتحقيق النصر في كل ميادين المواجهة، وأن تحرير فلسطين وقدسها وأقصاها لا يكون إلا من خلال الجهاد، فطريق التفاوض هو طريق عبثي بلا جدوى أو نفع، لأن الصهاينة اليهود نقضة عهود ووعود، وقتلة أنبياء ورسول، يؤكدون ومن اللحظة الأولى التي تم فيها وضع مشروعهم أنهم لم يستهدفوا فلسطين وحدها وإنما يسعون بما أوتوا من قوة إلى احتلال المنطقة الممتدة من النيل هناك في مصر إلى الفرات في العراق، ويستهدفون احتلال المدينة المنورة ومكة المكرمة، وهم أيضاً من الوقاحة بحيث أنهم يصرّحون جهاراً نهاراً بمشروعهم الاستعماري،

لقد قال موسى ديان في الاحتفال الذي أقيم بمناسبة احتلال مدينة القدس: الآن أصبحت الطريق مفتوحة إلى المدينة ومكة.. لقد استولينا على (أورشليم) ونحن في طريقنا إلى يثرب وأرض بابل، يثرب هناك في أرض الحجاز وبابل في أرض العراق.

وهنا أقول أنه يخطئ من يظن أن تصريحاتهم مجرد أقاويل وشعارات، بل هي نهج قد نهجوه نحو هدفهم الذي يجب على كل مسلم أن يتصدى لهم ولمشروعهم الملعون.

ومن هنا يجب أن نتذكر أن كل اليهود في صدر الإسلام وفي عهد النبوة قد حرّضوا أعداء الإسلام في الجزيرة على نبي الإسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ لاستئصال شأفتهم في غزوة الخندق أو الأحزاب، والتي وصف القرآن الكريم شدتها وبأسها بقوله: ﴿إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا (١٠) هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾ (سورة الأحزاب، الآية ١٠).

فالصهاينة والمشروع الصهيوني هو المشروع الأخطر الذي يمثل قطب العداء العالمي والتاريخي للإسلام وللإسلامية، وهم أشد أعداء حركة حماس وحركتها الأم جماعة الإخوان المسلمين، وهم أيضاً الأشد كيداً ومكرًا وشراسةً في مقاتلتهم لكتائب القسام رأس الحربة التي يسعى للقضاء عليها وتدميرها، وهيئات لهم أن يحدث ذلك ما دامت الكتائب ترفع راية الجهاد والتوحيد لله رب العالمين، مخلصه نيتها لربها باذلة كل غالٍ ونفيس، قابضة على الجمر، مؤمنة بأن الإسلام ولا شيء سواه هو الحل ولا حل سوى بالإسلام والجهاد.

وعلى المقاوم القسامي أن يعد العدة للمواجهة قبل فوات الأوان، فهو رأس الحربة وهو نصف السيف، وهو الآن يمثل بما يحمله من فكر إسلامي مقاوم، الخندق الأول في المواجهة مع الصهاينة الذين تمادوا كثيراً بل تمادوا أكثر

فأكثر، فالصهاينة قد صنعوا وخزّنوا أنواعًا معينةً من السلاح كالقنابل النيتروجينية التي تفني الحياة البشرية دون أن تمس بالمباني والمنشآت، وذلك من أجل احتلال البلاد العربية المسلمة الواقعة بين الفرات والنيل واحتلال أرض الحرمين الشريفين بكامل عمرانها ومنشآتها وثروتها بعد القضاء على أهلها وسكانها.

ولتعلم يا ابن القسام أن من واجبك أن تدرك أن الصهاينة يمتلكون ترسانةً نوويةً عسكريةً كبيرةً وقويةً، فكن قويًا بعلمك، وكن مستعدًا بعدتك، فحروب هذا الزمان حروب تعتمد على العتاد الحديث المتقدم، وعلى الرصد والمتابعة وعلى جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات الأمنية والاستخباراتية، ولذلك فإن الحرب التي نخوضها هي حرب عقول وتكنولوجيا.. حرب العلم والإيمان. فاجعل علمك قويًا كقوة إيمانك، ولا تهدأ ولا تستكن، ولذلك وجب عليك تحديث معلوماتك أولًا بأول حتى تتمكن من التصدي لعدوك وعدو أمتك الإسلامية وعدو مقدساتك الدينية.

ولا تكن يا ابن القسام كالسابقين التائهين الذين أضعوا الإسلام عندما تخلّوا عن عقيدة الجهاد، فطمسوا معالم حضارتهم وأصبحوا تبعًا وأتباعًا للعقيدة العسكرية الحزبية، فأصبحوا يتدارسون نظريات الحرب العسكرية، متناسين أن للمسلمين نظريات عسكرية وتاريخًا مشرفًا يستحق الدراسة والعمل به.

إنّ التكليف القرآني بالجهاد وبإعداد القوة والمرابطة تكليف قائم ومستمر، ويبقى حتى تقوم الساعة؛ ولذلك لا تدع عزمك يفتر، بل اسع بأن يكون عزمك وعزم الأمة الإسلامية عزمًا متجددًا، وخذ بأسباب التقدم والتطور التي تفرضها طبيعة العصر.

ولتكن مبادئ الإسلام العسكرية ونظرياتها منطلقًا لبناء قوة ذاتية لحماية الأمة والنهوض بها. فإن الإسلام الذي قد نظم أمور الحياة دينًا ودنيا، قد

نظّم أمور الحرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية ووضع لها المبادئ والنظريات الأساسية التي قامت عليها أول مدرسة عسكرية في تاريخ العرب، مكتملة الأركان وتحتوي على المبادئ والنظريات التي تقوم عليها أية مدرسة عسكرية شرقاً أو غرباً.

وعلى أساس هذه المبادئ والنظريات، قامت الاستراتيجية العسكرية الإسلامية التي طبقها المسلمون الأوائل في معاركهم التي خاضوها إعلاءً لكلمة الله، وواجهوا بها أعداءً يفوقونهم في العدد والعدة، فانتصروا عليهم بإذن الله، وامتدت فتوحاتهم في أقل من مئة عام من الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، وهزموا في المعركة الحربية- وهم أبناء الصحراء- أسطول بيزنطة أقوى أساطيل ذلك الزمان.

إن مواجهة الكيان الصهيوني وإضعافه وتدميره يعتبر بحد ذاته فريضة شرعية وإنجازاً مهماً ونوعياً، لأن بقاء هذا الطاعون يعني استمرار النزف على الساحة الإسلامية، واستمرار التآمر على الإسلام وأهله، وهذا يعني وجود مُعيق كبير وخطير في وجه كل تغيير إسلامي.

وزوال الكيان الصهيوني يعني زوال العدو اللدود الذين هدم الخلافة، وسعى إلى إجهاض ونسف كل المحاولات الهادفة إلى إعادتها وإلى عودة الإسلام إلى موقع صنع القرار وسدّة الحكم، ومركز القيادة في العالم الإسلامي.

وإنّ الخطر الصهيوني على الإسلام والمسلمين وعلى قضاياهم، هو الخطر الأكبر والأدهى والأمرّ، والكلام عن الخطر الصهيوني هو في الحقيقة فتح للسجل الحافل لمؤامرات ودسائس وفتن دبّرتها وحاكتها ونفذتها اليد الآثمة، يد الأمة الملعونة التي لعنها الله عز وجل في كتابه إلى يوم يبعثون، حيث قال: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (٧٨) كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا

يفعلون﴾ (سورة المائدة، الآية: ٧٨-٧٩)

ولذلك، فإنه من واجب ابن القسام الاستعانة بأخوته أبناء الإسلام في مختلف أقطار وبلاد الإسلام حتى يستمد منهم العلم والخبرة والمعرفة، وأن يتعاون من أجل الحصول على كل جديد في عالم السلاح والتسليح، وأن الفائدة المرجاة من هذا التعاون كبيرة بإذن الله تعالى والكتمان وحفظ الأسرار من مستلزمات نجاح مقاصد المقاوم المجاهد، ولقد قال - عليه أفضل الصلاة والتسليم - سيدنا محمد: "واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان".

ولتضع نصب عينيك يا من سعيت أن تكون مجاهدًا قساميًا أن الدعوة للإسلام وتعاليمه هي دعوة علنية، أما إدارة شؤون الجهاد فهي إدارة في مطلق السرية والكتمان، وكما قال البنا - رحمه الله -: "علانية الدعوة وسرية التنظيم، وهنا أودّ أن أعرج على ما كتبه الدكتور مجدي الهاللي في كتابه (ركائز الدعوة) قبل أن أنطلق بك ابني المجاهد في بحر العمل الميداني الجهادي.

معنى الجهاد: الجهاد لغةً هو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل، ومعنى الجهاد في الاصطلاح الشرعي: بذل المسلم طاقته وجهده في نصرته الإسلام ابتغاء مرضاة الله.. ولهذا قيد الجهاد في الإسلام في سبيل الله ليدل على هذا المعنى الضروري لتحقيق الجهاد الشرعي.

وبهذا جاءت الآيات القرآنية معلنةً أن جهاد المسلمين وفيه القتال، إنما هو جهاد في سبيل الله بخلاف الكافرين، فإن حصارهم وقتالهم في غير سبيل الله أي في سبيل الشيطان، ولقد قال تعالى:

﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾ (سورة النساء، الآية ٧٦).

وفي هذا الإطار الذي تحدثنا فيه، تأتي تعريفات السلف الصالح لمعنى الجهاد، فهنا نجد أن ابن عباس- رضي الله عنهما- يقول: هو استفراغ الطاقة فيه (أي الجهاد) ألا يخاف من يقدم على الجهاد في سبيل الله لومة لائم، ولذلك فاعبد الله يا ابن القسام حقَّ عبادته، وجاهد في سبيله حق جهاده.

منزلة الجهاد:

والجهاد في سبيل الله في أعلى المنازل وأسمائها بعد الإيمان بالله.. قال تعالى: ﴿انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ (سورة التوبة، الآية ٤١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة التوبة، الآية ١١١).

ويقول عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (سورة الحجرات، الآية ١٥).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا تستطيعون فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول: لا تستطيعون، ثم قال: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله.. رواه البخاري ومسلم. ولقد قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث: " هذا الحديث عظيم في فضل الجهاد، لأن الصلاة والصيام والقيام بآيات الله تعالى أفضل الأعمال، إن هذا لا يتأتى لأحد، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم_ (لا تستطيعون).

وقال العلامة ابن حجر العسقلاني:

هذه فضيلة ظاهرة للمجاهدين في سبيل الله تقتضي ألا يعدل الجهاد شيء من الأعمال.. وقال عياض: لقد اشتمل الحديث على تنظيم أمر الجهاد حتى حازت جميع حالات المجاهد وتصرفاته المباحة معادلة لأجر المواظب على الصلاة، وغيرها من العبادات. (فتح الباري ٦-٥).

أما عن أنواع الجهاد ووجوبه فقد جاء في كتاب أصول الدعوة لعبدالكريم زيدان:

"الجهاد في سبيل الله أنواع، فهناك الجهاد باللسان ببيان شرائع الإسلام ودحض الأباطيل المغزاة على الإسلام، والجهاد بالمال بإنفاقه في وجوه البر ولا سيما على المجاهدين والمقاتلين في سبيل الله بشراء العتاد والسلاح والأرزاق لهم، وجهاد النفس بمقاتلة أعداء الله، وإذا أطلق الجهاد فإنه يراد به - غالباً - الجهاد بالنفس أي القتال، كما أن الجهاد بالنفس يقرب بالجهاد بالمال، كما نلاحظ ذلك في آيات القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُجْبِيكُمْ مِنْ عَذَابِ الْيَوْمِ (١٠) تَوْمَنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرَ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحَ قَرِيبٍ وَبَشَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الصف، الآية ١٠-١٣).

والجهاد بالنفس بمقاتلة الأعداء من فروض الكفاية في الأحوال الاعتيادية إذا حصلت به الكفاية، ولكنه يصير فرض عين إذا احتل الكفرة بلدًا من بلاد الإسلام، أو إذا استنفر الإمام المسلمين، وأمر الله تعالى بأخذ العدة اللازمة له قال تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (سورة الأنفال، الآية ٦٠).

فكل ما به قوة وحاجة في القتال وجب تحصيله وإعداده، وهذا يختلف باختلاف الأزمان والأحوال، ولا شك أن من وسائل القوة المهمة في زماننا

تعلم وإتقان مختلف العلوم والفنون والصناعات العسكرية اللازمة لإعداد القتال وتعلم هذه الأمور من فروض الكفاية في الأمة؛ لأن ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب، ومن المستحق لكل مسلم أن يتعلم ما يستطيع من أمور القتال ويعلمه للآخرين.

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى هذه الأمور فقال- رحمة الله عليه-: " وتعلم هذه الصناعة (أي صناعة الحرب وآلات القتال والمعدات العسكرية) هو من الأعمال الصالحة لمن يبغى بذلك وجه الله - عز وجل-، ومن علم غيره ذلك فإنه شريكه في كل جهاد يجاهد به لا ينقص أحدهما من أجر الآخر شيئاً، وقد كان سيدنا عمر- رضي الله عنه- يوصي المسلمين وولاتهم: " أن علموا أولادكم الرمي والفروسية"، وفي حديث عن النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-: ألا إن من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو فقد عصى".

والواقع أن الجهاد ضروري لبقاء المسلمين أمة قوية مرهوبة الجانب، بعيدة عن أطماع الطامعين والحاquدين من الكافرين والمنافقين، كما أن الجهاد بنفسه دليل قاطع على إيمان المسلم ومبادرته إلى أن يحبه الله تعالى، وإيثاره مرضاته وما عنده، ولهذا وبخ الله تعالى من يتقاعس عن الجهاد.. قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة التوبة، الآية ٣٨).

وترك الجهاد سبب للمذلة والهوان وضياع الديار وتسلب الكفرة على بلاد المسلمين، وهذا من العذاب الذي توعد به الله تعالى تاركى الجهاد، وقال ربنا في القرآن الكريم: ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يَعْذِبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة التوبة، الآية ٣٩).

وقد قال الإمام ابن العربي المالكي في تفسيره: في هذه الآية تهديد شديد ووعيد مؤكد في ترك النفير والخروج إلى الكفار لمقاتلتهم على أن تكون كلمة الله هي العليا. أما نوع العذاب، فقال عنه الإمام ابن العربي: هو الذي في الدنيا باستيلاء العدو على من يستولي عليه.. وبالنار في الآخرة.. انتهى واعلم يا ابن القسام أن وقائع التاريخ القديم والحديث تؤيد وبشكل قاطع ما ذكره ابن العربي، وأن ما أصاب المسلمين من ذلّ وتسلب الكفرة الفجرة عليهم بتركهم الجهاد المطلوب منهم.

ولأن الإسلام في صلب دعوته هو دعوة جهادية، فعليك أخي المقاوم أن تدرك أن من صفات الإسلام الرئيسية أنه دعوة جهادية ماضية في مواجهة الباطل وإحقاق الحق إلى أن تقوم الساعة. وصدق الله تعالى حيث قال: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ (سورة الأنفال، الآية ٣٩).

فمن طبيعته عدم مهادنة الجاهلية أو التعايش معها أو تقديم تنازلات لها، قال تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ (سورة الحجر الآية ٩٤). وقال: ﴿وأندر عشيرتك الأقربين﴾ (سورة الشعراء، الآية ٢١٤).

وقال: ﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم﴾ (سورة الشورى، الآية ١٥). ومن طبيعته أن يرفض كل الحلول المهزومة المخالفة لمنهج الإسلام، ويعتبرها مشكلات وليست حلولاً، فهو لا يقبل مع الإسلام منهجاً غيره منهجه، لا ديناً غير دينه، ولا شريعة غير شريعته.

والإسلام يعتبر الجهاد طريق المؤمنين إلى الجنة، وسبيلهم إلى مرضاة الله تعالى ونعيم الآخرة، وإنّ ترك الجهاد والتخلي عنه يورث الذلّ والخنوع والهوان، فقال رسول الله _ صلى الله عليه وسلم: " واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف". رواه البخاري ومسلم.

والجماعة المسلمة في أيّ مكان قامت وفي أيّ زمان كانت، حركة جهادية هدفها الأصيل تعبيد الناس لله تعالى وجعل الحاكمية والقوامة لتشريعه.

فكتاب الله يصف الجماعة المسلمة بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (سورة الحجرات، الآية ١٥).

ورسول الله _صلى الله عليه وسلم_ يصف الجماعة المسلمة، فيقول: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك " متفق عليه.

والمسلمون الأوائل عرفوا أنهم أمة جهاد، فعاشوا مجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، يقولون الحق ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون العدل ولا يخشون في الله لومة لائم.. فكن يا ابن القسام قويا ثابتاً مرهوب الجانب، وإياك أن ترهب من سطوة حاكم وسوط الجلاذ وحبل المشنقة، وليكن لسان حالك ما نطق به رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ في قلب المحنة: " إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي "

التغيير الإسلامي وضرورة الجهاد

إن التغيير الإسلامي لا يمكن تحقيقه من غير جهاد ودون صياغة جيل مجاهد، فالمهمة التغييرية مهمة شاقة، فالقوى الظاهرة والخفية القابضة على الزمام في عالمنا الإسلامي قوى شريرة قد هيأها أعداء الإسلام من جانبه وغيرهم لهذا الدور منذ زمن بعيد.

هذه القوى تملك كل أسباب القهر والتنكيل والإبادة، وأُعطِيَ لها الضوء الأخضر من كل أعداء الإسلام في الداخل والخارج.

ولذلك فلتدرك يا ابن القسام أن إزالة هذه القوى وإقامة الإسلام مكانها ليس بالأمر الهين، فهي ستتشبث بمواقعها حتى النفس الأخير. وأن ذلك يحتاج أولاً وقبل كل شيء إلى تربية جهادية تخرج أنماطاً من المجاهدين، يحبون الموت والشهادة في سبيل الله، كما يحب الناس الحياة، ويعيشون هم الإسلام وقضاياهم ليلاً ونهارهم.

وصفة القول:

أنه لا بد من قاعدة صلبة متينة تستطيع أن تعتمد في هذا الصراع الجبار، وتقف في وجه المؤامرات وتجاهد في كل المجالات والجبهات، وتدفع ثمن إقرار شريعة الله في الأرض من زهرة أبنائها الشهداء الأبرار، وتصبر على الظمأ والتعب والجوع لتغيظ الكفار بهذا العطاء الدائم ولا تتخلف عن نداء الجهاد، فطريق النصر هو طريق الآلام، أرضه أشواك وسماؤه عواصف وأخطار، ومعالمه شهداء ورجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، قاعدته الصوام القوام الخاشعون رهبان بالليل وفرسان بالنهار.

وما أجمل وأروع ما قاله الإمام الشهيد حسن البنا في وصف المؤمن الداعية المجاهد في سبيل الحق، يقول الإمام:

"أستطيع أن أتصور المجاهد شخصاً قد أعد عدته وأخذ أهفته وقلب عليه الفكر فيما هو فيه نواصي نفسه وجوانب قلبه، فهو دائم التفكير عظيم الاهتمام على قدم الاستعداد أبداً، إن دعي أجاب، أو نودي لبى، غدوه ورواحه وحديثه وكلامه وجدّه ولعبه لا يتعدى الميدان الذي أعد نفسه له، ولا يتناول سوى المهمة التي وقف عليها حياته وإرادته.. يجاهد في سبيلها تقرأ في قسماات وجهه وترى في بريق عينيه وتسمع من فلتات لسانه ما بدا لك على ما يضطرم في قلبه من جوى لاهب وأسى دفين وما تفيض به نفسه من عزم صادم وهمة عالية وغاية بعيدة."

ثم يقول في بيان صفات القاعد الذي عبد الدنيا وشغل بالدنيا والدرهم والدولار:

"أما المجاهد الذي ينام ملء جفنيه، ويأكل ملء ماضغيه، ويضحك ملء شذقيه، ويقضي وقته لاهياً لاعباً عابثاً ماجناً، فهيهات أن يكون من الفائزين أو يكتب في عداد المجاهدين."

ولذلك فلتعلم يا أخي يا ابن القسام المجاهد المقدم أن الله - عز وجل - غني عنا وعن جهادنا، فنحن المحتاجون إلى ثوابه ونعمته ونيل هذا الشرف، والله قادر على أن ينتصر على أعدائه دون جهادنا ولكنه الابتلاء والامتحان. قال تعالى:

﴿ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلاو بعضهم ببعض﴾ (سورة محمد / ٤٠)

وقال الواحد القهار أيضاً:

﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلاو أخباركم﴾ (سورة محمد : ٣١)

أخي المقاوم المسلم:

على طريق الجهاد لا ترهب قوة أعداء الله ولو كثرت عدداً وعدة، فالله ولي المؤمنين يمدّهم بجنده ويؤيدهم بنصره

﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾ . (سورة آل عمران، الآية ١٦٠).

ونحن في حقيقة الأمر لسنا سوى ستار لقدّر الله ونصر الله، ولا حول لنا ولا قوة إلا بالله، إنك تجد هذا المعنى واضحاً في قوله تعالى: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ . (سورة الأنفال، الآية ١٧).

ضع يدك يا ابن القسام في يد إخوانك المجاهدين وارتبط معهم بقوة برباط الأخوة الصادقة في الله، فالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً فتفوزوا جميعاً بحب الله عزّ وجلّ وينصره، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ . (سورة الصف، الآية ٤).

وهكذا يأمرنا الله بالثبات وذكر الله وطاعته ورسوله وعدم التنازع أو الخلاف ثم بالصبر، وكلها من لوازم النصر وعدم الفشل، فليكن همك يا أخي جمع الكلمة ووحدة الصف وابتعد كل البعد عن ما يفرّق صف المجاهدين، أو يمزّق وحدتهم أو يبذّر جهودهم، واعلم أن الاجتماع على غير الأصوب خير من الاختلاف على الأصوب. ففي ظل الوحدة يمكن أن نهدي إلى الأصوب بعد ذلك. استعن بالله ولا تعجز واسأل الله الصبر والثبات، وهكذا يوصينا

رسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم، فيقول: " لا تتمنوا لقاء العدو، ولكن إذا لقيتموه فاثبتوا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف " رواه البخاري ومسلم.

ولا بد للمجاهدين من الصبر والثبات، فإن النصر مع الصبر، وكما يقال بين النصر والهزيمة صبر ساعة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ (سورة آل عمران: ٢٠٠).

وكن يا ابن القسام من المجاهدين المتقدمين في صفوف المقاتلين في سبيل الله، وكلّك يقين أنك على موعد مع إحدى الحسينيين: النصر أو الشهادة، نصر يفرح به المؤمنون في أنحاء الأرض، أو الشهادة تنال بها منازل الشهداء أو ثوابهم العظيم.. ﴿ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا﴾ (سورة النساء، الآية ٧٤).

فنحن يا أخي المجاهد المسلم مطالبون بالعمل خالص النية لله -عز وجل-، ولسنا مسؤولين عن النتائج، فقد أمرنا الله بمجاهدة أعداء الله ورد عدوانهم، ولمن يطالبنا بتحقيق النصر، فالنصر من عنده هو، ولذلك فلن يحرمننا الله أجر المجاهدين في سبيله ولو كانت النتيجة ظاهريًا أمام أعين الناس في غير صالح المؤمنين.

يا ابن القسام والإسلام، كن حذرًا محتاطًا، فأنت يا أخي المجاهد صيدٌ عظيم ثمين لأعداء الله لو حصلوا عليك، وليس ذلك بالقتل فقط ولكن لو استطاعوا أن يخدعوك أو يساموك ويستميلوك إلى جانبهم بوعده أو وعيد فلا تمكّنهم من نفسك، واعلم أنّ ما عند الله خير وأبقى، وأنت على ثغر من ثغور الإسلام والمسلمين، فلا يؤتئين من قبلك، وكن في موقعك خير حارس أو مقاتل أو مرابط، واستذكر فضل الله عليك أن منّ عليك بشرف الجهاد في سبيله، متذكرًا الثواب العظيم ثواب المرابطين أو الحراسة أو القتال في سبيل الله.. ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ (سورة يونس، الآية ٥٨).

كي تستشعر الخطر العظيم والإثم الكبير بل والعذاب الشديد لو تخلّيت عن موقعك ومهمتك وسمحت لأعداء الله أن ينفذوا إلى صف المؤمنين. ولتكن أيها المجاهد المخلص دقيقًا في عملك ووقتك، ونفّذ ما يطلب منك دون تأخير دقيقة أو تقصير بسيط في تنفيذ أمر يعرض أعدادًا كبيرة في صفوف المجاهدين إلى الهلاك والقتل، أو يؤدي إلى سقوط موقع من مواقع الجهاد في أيدي أعداء أمة الإسلام والمسلمين.

وليكن كتاب الله معك في كل مكان، واعمل على تدبره وتلاوته حق التلاوة، ففي القرآن يا ابن القسام الزاد الوفير عن طريق الجهاد، وقف طويلًا عند السور والآيات التي تتناول الجهاد والقتال في سبيل الله، واحفظها لتكن نورًا في قلبك، ومنارةً لعقلك، فهذه الآيات القرآنية وما بها من معانٍ ربانية، بها كل ما تحتاج إليه في جهادك وقتالك لأعداء الله، وعليك يا ابن القسام يا حبيب أحمد الياسين شيخ شهداء فلسطين بسيرة إمام المجاهدين سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلّم- وصحابته الغر الميامين، وما في الغزوات من صور رائعة للجهاد ونماذج فريدة للتضحية والفداء والحب والإيثار والإعداد والاستعداد والتخطيط والتدبير.

وأختم الفصل الثاني الذي أسميه بوصلة الانتماء إلى الأخوة المسلمين وإلى حماس وذراعها العسكري كتائب العز والفخار، كتائب الشهيد عز الدين القسام، تلك الكتائب التي زرع بذورها الإمام أحمد ياسين -رحمة الله عليه- وجزاه الله خيرًا- إذ أثار لنا هنا في فلسطين منارة الجهاد، منارة العز والإباء، وأختم بما قاله الشهيد حسن البنا: " إن الأمة التي تحسن صناعة الموت وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة، يهب لها الله الحياة العزيزة في الدنيا، والنعيم الخالد في الآخرة، وما الوهن الذي أدلنا إلا حب الدنيا وكرهية الموت، فأعدوا أنفسكم لعملٍ عظيم، واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة، احرصوا على الموت توهب لكم الحياة.

واعلموا أن الموت لا بد منه، وأنه لا يكون إلا مرة واحدة فإن جعلتموها في سبيل الله، فإن ذلك ربح الدنيا وثواب الآخرة، وما يصبكم إلا ما كتب الله لكم، فاعملوا للموتة الكريمة تظفروا بالسعادة الكاملة.. رزقنا الله وإياكم كرامة الاستشهاد في سبيله."

ولتكن يا بن القسام خير خلفٍ لخير سلف، ولتكن بوصلة المقاومة هي بوصلتك التي ستوصلك - بإذن الله - إلى إحدى الحسينين، إما النصر وإما الشهادة، واعلم يا قسامي أنني حاولت وحاولت كي أنال الشهادة في سبيل الله ساعياً لها، طالباً إياها، طول فترة جهادي سواءً هناك في الميادين حيث كانت القذائف تتساقط كالمطر، والرصاص إلى جوارها مزاحماً إياها، وسواءً هنا في الأسر في سجن بني صهيون.

ادعُ لي يا بن القسام لعلَّ الله يكتب لي الشهادة في سبيله حتى أكون هناك - بإذن الله - إلى جوار نبيِّنا - عليه أفضل الصلوات والتسليم - وصحابته الكرام الميامين، ادعُ لي لعلِّي ولعلَّك نكتب من الشهداء الصديقين.

الفصل الثالث

الاستشهاديون رأس الحرية

الفصل الثالث

الاستشهاديون رأس الحربة

أستحلفك بمن رفع السماء وبسط الأرض أن تعود عن ما عزمت عليه يا أبا أسامة.. تلك الجملة قالها من أردت أن أستخلفه محلي أميراً أثناء خوضنا للقتال في إحدى المدن الفلسطينية، فقد اشتد علينا الحصار العسكري من قبل الصهاينة اليهود لعنهم الله، فأردت أن أتمنق بحزام ناسف كنت قد صنعته بنفسي ولنفسي، فأنا مهندس كتائب القسام الذي صنع العديد العديد من تلك الأحزمة لاستشهاديي الكتائب، أردت أن أفجر نفسي بقوات ذلك العدو الغادر؛ لعلّي أصدق شهيداً عند الله تعالى.

نيّتي كانت ولا تزال نيةً خالصةً مجاهدة في سبيل الله ومن أجل إعلاء كلمته ونشر دينه وتحرير مقدساته، تحرير القدس والأقصى، وطرد المحتل الظالم من فلسطين.. في ذلك اليوم كنا محاصرين بعد أيام طويلة من القتال المتواصل مع قوات العدو الصهيوني التي اجتاحت تلك المدينة، وكنت هدفاً في تلك المدينة أقاتل مع إخوتي متصدياً لهم، مانعاً إياهم من التوغّل في قلب المدينة.

نفدت ذخيرتنا ونفذ طعامنا منذ أيام، ولولا رحمة الله الذي أنزل مطره علينا، لكنّا متنا من العطش في ذلك اليوم، وقفت تحت المطر رافعاً يديّ بالدعاء إلى الله بأن يتقبلني عنده شهيداً، فقد كنت مصاباً بجروح لم تكن بليغة، كانت جروحاً متوسطة، وكنت قادراً على تحمّل ألمها، ونزف دماؤها، لكني ما كنت قادراً على تحمّل الشعور بالعجز عن مواصلة التصدي للمحتل الصهيوني.

فتمنقت بالحزام الناسف منتظراً اللحظة المناسبة لأفجر نفسي بأي تجمع لجنود العدو الذين اقتحموا المدينة، لم تأت تلك اللحظة لأن العدو عمل على إبقاء جنوده مختبئين في المصفحات العسكرية وناقلات الجند المدرعة وفي الدبابات المجنزرة، ولأن ما بداخل الحزام الناسف لا يمكن أن يحدث ضرراً

بتلك الآليات المصفحة، لم أتمكن من استخدامه على الرغم من بقائي مرتدياً إياه لمدة أربعة أيام متواصلة بليها ونهارها. ما إن انقضت تلك الأيام الأربعة حتى غادر العدو المدينة منسحباً منها بعد قتال تجاوزت عدد أيامه العشرين يوماً.

دمار وخراب هو ما خلفه العدو الغازي على أهل المدينة، أما علي وعلى إخواني من المجاهدين القساميين، فقد ترك ذلك العدو في نفوسنا غضباً شديداً ورغبة أقوى من السابق لمواجهته والتصدي له، وتسديد الضربات الموجعة لجنوده.

ضمدت جراحي وشفيت بعد عدة أسابيع مخلفة عدة ندوب على أطراف جسدي، ندوب ما إن أراها حتى تعلقو ابتسامة على وجهي، متذكراً ذلك الحصار اللعين وما سبقه وما تبعه من اجتياحات وحصار، مواصلاً توجيه الضربة تلو الأخرى لذلك العدو الصهيوني.

أمضيت شهراً وأعواماً، وكان أسمى ما قمت به هو التخطيط والتجهيز والإعداد لعدة عمليات استشهادية نفذت على يد أظهر وأعظم رجال.. رجال الكتائب (كتائب الشهيد عز الدين القسام).

ولأن بوصلتي هي بوصلة الأخوان المسلمين، وبوصلة حركة المقاومة الإسلامية حماس، فلقد كانت إرشادات وفتاوى الإمام أحمد ياسين -رحمة الله عليه-، والعلامة يوسف القرضاوي هي ما استندت إليه من الناحية الشرعية للإقدام على ذلك النوع من العمليات الاستشهادية المقاومة التي كانت تمثل رأس الحربة في عمليات كتائب الشهيد عز الدين القسام ضد الصهاينة المحتلين للأرض الطاهرة.. أرض فلسطين.

لقد قال العلامة يوسف القرضاوي - حفظه الله - عن ذلك النوع من العمليات الجهادية الاستشهادية: " إن العمليات الاستشهادية التي تقوم بها فصائل المقاومة الفلسطينية وعلى رأسها كتائب عز الدين القسام تعد من أعظم أنواع

الجهاد في سبيل الله، وهي من الإرهاب المشروع الذي أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ (سورة الأنفال، الآية ٦٠).

وإنّ تسمية هذه العمليات الاستشهادية بالعمليات الانتحارية تسمية خاطئة ومضللة، فهي عمليات فدائية بطولية استشهادية، وهي أبعد ما تكون عن الانتحار، ومن يقوم بها أبعد ما يكون عن نفسية المنتحر.. إن المنتحر يقتل نفسه وهذا الاستشهادي يقدم نفسه ضحية من أجل دينه وأمته، والمنتحر إنسان بئس من نفسه ومن روح الله، وهذا المجاهد إنسان كلّه أمل في روح الله تعالى ورحمته، المنتحر يتخلص من نفسه بقتل نفسه، والمجاهد يقاتل عدو الله وعدوه بهذا السلاح الجديد الذي وضعه القدر في يد المقاومين المستضعفين، يقاومون به جبروت الأقوياء المتكبرين، فيصبح المجاهد قنبلة بشرية تنفجر في مكانٍ معين وزمانٍ معين في أعداء الله والوطن، الذين يقفون عاجزين أمام هذا البطل الاستشهادي الشهيد الذي باع نفسه لله ووضع رأسه على يده مبتغيًا الشهادة في سبيل الله.

فهؤلاء المقاومون المجاهدون أبناء القسام الميامين، يدافعون عن أرضهم، وهي أرض الإسلام، وعن دينهم، وهو دين الإسلام، وعن عرضهم وأمتهم.. فهؤلاء أليسوا بمنتصرين؟ بل أبعد ما يكونون عن الانتحار، وإنما هم شهداء حقًا بذلوا أرواحهم وهم راضون في سبيل الله مادامت لله، وماداموا مسطرين هذا الطريق لإرعاب أعداء الله المصرين على عدوانهم، المغرورين بقوتهم وبمساندة القوى الكبرى لهم، والأمر كما قال الشاعر العربي القديم:

إذا لم يكن إلا الأسنه مركبًا فما حيلة المضطر إلا ركوبها

فأبناء القسام أبناء فلسطين، ليسوا بمنتحرين وليسوا بإرهابيين، فهم يقاومون مقاومة شرعية من احتل أرضهم، وشردهم وشرّد أهلهم واغتصب حقهم وصادر مستقبلهم، وما زال يمارس عدوانه عليه.. ودينهم دين الإسلام

الحنيف يفرض عليهم الدفاع عن أنفسهم ولا يجيز لهم التنازل باختيارهم من ديارهم التي هي جزء من ديار الإسلام، ولا يعد عمل هؤلاء الأبطال عن الإلقاء باليد إلى التهلكة، كما يتصوّر البعض من البسطاء من الناس، بل هو عمل من أعمال المخاطرة المشروعة والمحمودة في الجهاد، يقصد به النكاية في العدو وقتل بعض أفرادهِ وقذف الرعب في قلوب الآخرين من الصهاينة وتجرئة المسلمين عليهم.

والمجتمع الإسرائيلي مجتمع عسكري، رجاله ونساؤه جنود في الجيش، يمكن استدعائهم في أي لحظة، وإذا قتل طفل أو شيخ في هذه العمليات الاستشهادية، فهو لم يقصد بالقتل، بل عن طريق الخطأ وبحكم الضرورات الحربية والضرورات تبيح المحظورات.

وقد فصل العلامة يوسف القرضاوي موضوع شرعية العمليات الاستشهادية في فلسطين قائلاً:

" أما العمليات الاستشهادية التي تقوم بها المقاومة الفلسطينية لمقاومة الاحتلال الصهيوني فحكمها لا تدخل في دائرة الإرهاب المجرم المحظور بحال من الأحوال، وإن كان من ضحاياه بعض المدنيين وذلك لعدة أسباب:

١- إن المجتمع الإسرائيلي بحكم تكوينه الاستعماري الاستيطاني الاحتلالي العنصري الاغتصابي، مجتمع عسكريين لحماً ودمًا، مجتمع عسكري كلاًه أي أن كل من جاوز سن الطفولة فيه من رجل أو امرأة مجنّد في جيش (إسرائيل)، كل (إسرائيلي) جندي في الجيش.. إما بالفعل أو بالقوة أي أنه جندي احتياط يمكن استدعائه في أي وقت للحرب، وهذه حقيقة ماثلة للعيان وليست دعوى تحتاج إلى برهان، وهؤلاء الذين يسمون مدنيين هم في حقيقة الأمر (عساكر) في جيش صهيون بالفعل أو بالقوة.

٢- إن المجتمع الإسرائيلي له خصوصية تميّزه عن غيره من سائر المجتمعات البشرية، فهو بالنسبة لأهل فلسطين (مجتمع غزاة) قدموا من

خارج المنطقة من أوروبا ومن روسيا وأمريكا أو من بلاد الشرق ليحتلوا وطنًا ليس لهم، ويطردوا شعبه منه، أي ليحتلوا فلسطين ويستعمروها ويطردوا أهلها ويخرجوهم من ديارهم بالإرهاب المسلح ويشتتوهم في آفاق الأرض ويحلّوا محلّهم في ديارهم وأموالهم. وأن من حق المغزو أن يحارب غزاته بكل ما يستطيع من وسائل ليخرجهم من داره ويردهم إلى ديارهم التي جاؤوا منها، ولا عليه أن يصيب دفاعه رجالهم أو نساءهم كبارهم أو صغارهم، فهذا الجهاد (جهاد اضطرار) كما يسميه الفقهاء لا جهاد اختيار، جهاد دفع لا جهاد طلب.

٣- وإن من سقط من الأطفال والبراء ليس مقصودًا، إنما سقط تبعًا لا قصدًا لضرورة الحرب، ومرور الزمن لا يسقط عن الصهاينة صفة الغزاة المحتلين المستعمرين، فإن مضي السنين لا يغيّر الحقائق ولا يحل الحرام، ولا يبرر الجريمة، ولا يعطي الاغتصاب صيغة الملكية المشروعة بحال من الأحوال، فهؤلاء الذين يسمون (المدنيين) لم يفارقهم وصفهم الحقيقي: وصف البغاة الطغاة الظالمين. ﴿لعنة الله على الظالمين﴾ (سورة هود، الآية ١٨).

٤- يؤكد هذا: أن الشريعة الإسلامية التي هي مرجعنا الأوحد في شؤوننا كلها، تصف غير المسلمين بأحد وضعين لا ثالث لهما، وهي (مسالم أو محارب). فأما المسالم فالمطلوب منا أن نبره ونقنط إليه، أما المحارب فالمطلوب منا أن نحاربه ونقاتل عدوانه بمثله.. كما قال تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ (١٩٠) واقتلوهم حيث تقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين (١٩١) فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم (١٩٢) وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴿ (سورة البقرة: ١٩٣).

وهؤلاء هم الذين يسميهم الفقهاء (الحربيين) ولهم في الفقه أحكامهم الخاصة بهم، ومن المقرر شرعاً: أن الحربي لم يعد معصوم الدم، فقد أسقط بحربه وعدوانه على المسلمين عصمة دمه وماله.

٥- يؤكد ذلك: أن فقهاء المسلمين اتفقوا أو اتفق جمهورهم على جواز قتل المسلمين إذا تترس بهم الجيش المهاجم للمسلمين، أي اتخذ العدو منهم تروساً ودروعاً بشرية يحتمي بها، ويضعها في المقدمة؛ ليكونوا أول من تصيبهم نيران المسلمين أو سهامهم وحرابهم.. فأجاز الفقهاء للمسلمين المدافعين أن يقتلوا هؤلاء المسلمين البريئين الذي أكرهوا على أن يوضعوا في مقدمة جيش العدو لأنهم أسرى عنده أو أقلية ضعيفة أو غير ذلك.. إذ لم يكن لهم بد من ذلك وإلا دخل عليهم الجيش الغازي وأهلك حرثهم ونسلهم.

فكان لا بد من التضحية بالبعض مقابل المحافظة على الكل (باب فقه الموازنات بين المصالح والمفاسد بعضها ببعض، فإذا جاء قتل المسلمين الأبرياء المكرهين للحفاظ على جماعة المسلمين الكبرى، فإنه يجوز قتل غير المسلمين لتحرير أرض المسلمين من محتليها الظالمين وذلك أحق وأولى.

٦- إن الحرب المعاصرة تجنّد المجتمع كله، بكل فئاته وطوائفه؛ ليشترك في الحرب ويساعد على استمرارها وإمدادها بالوقود اللازم من الطاقات المادية والبشرية، حتى تنتصر الدولة المحاربة على عدوها، وكل مواطن في المجتمع عليه دور يؤديه في إمداد المعركة وهو في مكانه، فالجبهة الداخلية كلها بما فيها حرفيين وعمال وصنّاع تقف وراء الجيش المحارب، وإن لم تحمل السلاح، ولذا يقول الخبراء العالمون: إن الكيان الصهيوني كله جيش، ومؤسسات المجتمع المدني هناك كلها مشارك في الحرب بصفة مباشرة أو غير مباشرة، إلا ما كان منها معارضاً للحرب منكرًا لها، فهؤلاء يستثنون وتقدّر مواقفهم ولا يحملون إثم حروب يعارضون قيامها، والأصل أن هؤلاء يعيشون خارج (إسرائيل) فلسطين المحتلة.

٧- إن الأحكام نوعان: أحكام في حالة السعة والاختيار، وأحكام في حالة الضيق والاضطرار، والمسلم يجوز له في حالة الاضطرار ما لا يجوز له في حالة الاختيار، ولهذا حرّم الله تعالى في كتابه في أربع آيات الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ به لغير الله.. ثم أباح هذه المحرمات للضرورة، كما قال:

﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾ (سورة البقرة: ١٧٣).
ومن هنا أخذ الفقهاء قاعدة: الضرورات تبيح المحظورات، وأخوتنا في فلسطين في حالة ضرورة لا شك فيها، بل هي ضرورة ماسة وقاهرة للقيام بهذه العمليات الاستشهادية لإفلاق أعدائهم وغاصبي أرضهم، وبث الرعب في قلوبهم حتى لا يهنأ لهم عيش ولا يقر لهم قرار.. فيعزموا على الرحيل ويعودوا من حيث أتوا وجاؤوا.

ولولا ذلك لكان عليهم أن يستسلموا لما تفرضه عليهم الدولة الصهيونية من ذلة وهوان يفقدهم كل شيء ولا تكاد تعطيهم شيئاً.. أعطوهم عشر معشار ما لدى الصهاينة من دبابات ومجنزرات وصواريخ وطائرات وسفن حربية وآليات ليقاتلوا بها، وسيدعون حينئذ هذه العمليات الاستشهادية، وإلا فليس لدى الفلسطينيين من سلاح يؤدي خصمهم ويقض مضجعهم ويحرمهم لذة الأمن وشعور الاستقرار إلاّ هذه القتابل البشرية أي قتابل الاستشهاديين: إن الفتى أو الفتاة عندما يتمنطق أحدهم بالحزام الناسف لكي يفجره في عدوه فهو بهذا يملك السلاح الذي لا يستطيع عدوه وإن أمدته أمريكا بالمليارات وبأقوى السلاح أن يملكه، فهو سلاح متفرد ملكه الله تعالى لأهل الإيمان وحدهم، وهو لون من العدل الإلهي في الأرض لا يدركه إلا أولو الأبصار، فهو سلاح الضعيف المغلوب في مواجهة القوي المتجبر

﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ (سورة المدثر، الآية ٣١)

وقد أورد العلامة الشيخ القرضاوي حفظه الله ردًا قاطعًا على المرجفين الذين يعارضون العمليات الاستشهادية التي تقوم بها المقاومة الفلسطينية، وينفذها رجال كتائب الشهيد عز الدين القسام، فقال حفظه الله:

- أما الذين يعارضون العمليات الاستشهادية من المسلمين فهم يعارضون لشبهات ثلاث هي:

أنها تدخل في الانتحار: أي قتل النفس وإلقائها في التهلكة، وهذا من أكبر المحرمات في الإسلام، والرد على هؤلاء هو:

* أنهم جد مخطئون، فإن من يحلّل نفسية الاستشهادي ونفسية المنتحر يجد بينهما فرقًا شاسعًا فالمنتحر يقتل نفسه من أجل نفسه لفشله في صفقة أو في حب أو في امتحان وغير ذلك من أمور متاع الحياة، فضعف عن مواجهة الموقف فقرّر الهرب من الحياة بالموت.

أما الاستشهادي فهو لا ينظر إلى نفسه إنما يضحى من أجل قضية كبيرة تهون في سبيلها كل التضحيات، فهو يبيع نفسه لله ليشتري بها الجنة، وقد قال تعالى:

﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ (سورة التوبة: ١١١).
وقال سبحانه: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾ (سورة البقرة: ٢٠٧).

فإن كان المنتحر يموت فارًا منسحبًا، فإن الاستشهادي يموت مقدمًا مهاجمًا، وإذا كان المنتحر لا غاية له إلا الفرار من المواجهة، فإن الاستشهادي له غاية واضحة وهي تحقيق مرضاة الله تعالى، كما قال الله تعالى: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾

- أي يبيعها.. (سورة البقرة، الآية ٢٠٧).

* أنها كثيرًا ما تصيب المدنيين الذين لا يحاربون من النساء والأطفال وهؤلاء يحرم قتلهم في الإسلام، حتى في حرب المواجهة بين الجيوش، وحتى الرجال

الذين لا يقاتلون، هم من المدنيين الذين لا يحملون السلاح، ولقد أجاز العلامة قائلًا: أما شبهة إصابة المدنيين من النساء والشيوخ والأطفال والموظفين والعمال وغيرهم من طبقات المجتمع المدني ممن لا يحملون السلاح، فأود أن أبين هنا أن الأصل في هذه العمليات الاستشهادية أن يقصد بها جنود الجيش (الإسرائيلي) المحتل في أماكن تجمعاتهم المعتادة، ولا يقصد بها ضرب طفل صغير أو شيخ كبير ولا امرأة غير مقاتلة، فقد صحّت الأحاديث النبوية بالنهي عن قتل هؤلاء في حروب المواجهة بين جيش المسلمين وجيوش الأعداء وأنكر النبي صلى الله عليه وسلم وجود امرأة مقتولة في إحدى المعارك، ولهذا يحرم الإسلام قتل هؤلاء وهو ما يحرص عليه الأخوة في فلسطين، وما يأتي من ذلك فعن طريق الخطأ غير المقصود أو عن طريق الضرورة التي تفرضها الحرب بتطبيقها ولا سيما في عصرنا. * أن العمليات الاستشهادية أدت إلى إلحاق الأذى والضرر بالفلسطينيين بسبب عمليات الانتقام الفظيعة التي تقوم بها دولة الكيان الصهيوني (إسرائيل) من قتل فأصبحت محظورة بنتائجها وآثارها، والناظر إلى حالات يجد التوقف عنها مطلبًا شرعيًا.

ولقد ردّ العلامة يوسف القرضاوي - حفظه الله - على النحو الآتي:

إن شبهة الإضرار بالفلسطينيين بسبب العمليات الاستشهادية وأنها عادت عليهم بالقتل والتدمير والإحراق بسبب عمليات الانتقام الصهيوني، وأن ذراع (إسرائيل) أطول وقدرتها على الانتقام أقوى، وهي تكيل بالصاع صاعين بل عشرة أصوع. إن الصهاينة اليهود كانوا دائمًا البادئين بالشر والأذى، والمقاومة هي التي تحاول أن ترد وتدافع عن نفسها، وهذا واضح وضوح الشمس أن ينكره أحد، وأن هذا العدوان طبيعة في إسرائيل منذ قامت وإلى اليوم، بل هي لم تقم إلا على المجازر والاستباحة للدماء والمحرمات وما كان بالذات لا يختلف (يقول علماء المنطق ما كان بالعرض يختلف وما كان بالذات لا يختلف)، فلو

أُغمد الفلسطينيون أسلحتهم الخفيفة القليلة لاستمر (الإسرائيليون) يقتلون ويذبحون ويدمرون.

ولذلك، لا ينبغي أن تضخم أثر الضربات الإسرائيلية على الفلسطينيين، وتفعل آثار الضربات الاستشهادية في كيان بني صهيون، وما تحدثه من رعبٍ وذعرٍ في النفوس، وزلزلة في القلوب، وتهديد للمستقبل، وشعور بعدم الاستقرار، ناهيك عما تحدثه ممن أثر في السياسة والاقتصاد وغيرها من مقومات الكيان المحتل.

وهو ما يجعل إسرائيل وأمريكا من ورائها تحاولان بكل جهدٍ وحيلةٍ إيقاف العمليات الاستشهادية بأيّ ثمن، ومن ذلك تحريض السلطة الفلسطينية على ضرب المقاومة والتخلص منها بدعوى مكافحة الإرهاب، فإذا كنا نشكو فهم أكثر شكوى منا، وقد قال تعالى: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونُ فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ (سورة النساء، الآية ١٠٤).

وقال أيضاً: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلَهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيَمْحَسَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٠-١٤١).

لقد منّ الله - عز وجل - عليك يا بن القسام، يا من ترابط في فلسطين الأسيرة أن تكون مشروع شهيد، ومشروع شهادة من أجل إعلاء كلمة الله، ومن أجل تحرير القدس والأقصى.. فأنت يا أخي تحيا في دولة واحدة بالنسبة لنا نحن المسلمين دولة نعتبرها (دار حرب) لنا، وهي دولة الكيان الصهيوني (إسرائيل) التي اغتصبت ديارنا بالمكر والقوة الغاشمة، فلم يكن لها قبل قرن من الزمان أي وجود يذكر في أرض النبوات، أرض الإسراء والمعراج، أرض فلسطين.

ولكنهم تسلّوا خفيةً وفي غفلة من أهل البلاد ومن أمة الإسلام، إلى ذلك البلد الآمن، كما يتسلّل الداء إلى الأجساد، وهذا هو الواقع فعلاً، فالواجب

على المسلمين اليوم الجهاد لتحرير فلسطين، وهم مسؤولون أمام الله وأمام التاريخ والأجيال عن ذلك.

وأختم يا بن القسام هذا الفصل، فصل الشهادة والاستشهاديين، مذكراً إياك ومذكراً نفسي بأهمية إخلاص النية، فما بالك إن كنا نتحدث عن نية الاستشهادي، فأول ما يطلب من المجاهد الاستشهادي هو أن يصح نيته في جهاده (المعرفة المزيد عن النية وما يتعلق بها، راجع كتاب ..النية والإخلاص في سلسلة تفسير فقه الملوك). فلا يكون جهاده غضباً لنفسه أو حميةً لقومه أو إظهاراً لشجاعته أو طلباً لشهرةٍ ومحمدةٍ من الناس، أو تطلعاً إلى غنيمَةٍ لذاته أو جماعته وقومه أو نحو ذلك، وإنما يجعل قصده لوجه الله ولنصرة دينه وإعلاء كلمته وكسب رضاه.

فمما لا شك فيه يا ابن القسام أن الجهاد قرية وعبادة من عبادات الإسلام بل هو أفضل ما يتطوع به المسلم من عبادات.. واعلم أن النية الخالصة شرط من شروط صحة كل عمل، وأن العمل وإن كان صالحاً في صورته، إذا خلا من النية كان أشبه بالتمثال الذي لا حياة فيه ولا روح، وهذا سر تأكيد السلف وتركيزهم على أهمية النية الصالحة في الأعمال وأن تكون خالصة لوجه الله تعالى.. كما قال عز وجل: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ (سورة الكهف: ١١٠).



الفصل الرابع الشورى نهج القسام والإسلام

الفصل الرابع

الشورى نهج القسام والإسلام

لقد أمر الله عز وجل سيدنا المصطفى عليه أفضل السلام والتسليم بأن يشار أصحابه، فقال: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٥٩).

وقد اعتنى الإسلام بتعاليم ومبادئ الشورى وجعلها من علامات الإيمان، فورد ذكرها في القرآن بين الصلاة والإنفاق لأهميتها وخطورها، كما قال تعالى ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ (سورة الشورى، الآية ٣٨).

وما كان أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأمر الشورى من قبل الله -عز وجل-، وهو النبي الذي ينزل عليه الوحي لإتعليمًا من هذه التعاليم الإسلامية، وبيانا بأن في تحقيق مبدأ الشورى من الفضل والخير ما يؤمن معه العثار ويحفظ الأمة من الزلل، كما أن الشورى من صفات وشيم العقلاء وهي منهج الحكماء، وقد عرج على ذلك الرسول القائد -صلى الله عليه وسلم- قائلاً: "ما ندم من استشار" " ما شقي عبد بمشورة وما سعد باستغناء رأي"

ولذلك اعلم يا بن القسام أن الشورى هي صمام الأمان الأول لنجاح عملك الجهادي، وعليك باتباع أسلوب التنظيم الرأسي الاستشاري، فهو الأسلوب الأمثل للقيادة والتنظيم، فإنه يوفر عنصر المستشارين والمساعدين المتخصصين أصحاب الخبرة والكفاءة بأحوال الحرب وعلومها، ويقدمون للقائد النصح والمشورة، وهكذا تتجنب الوقوع بالخطأ الذي يسببه الرأي المنفرد.

واعلم يا بن القسام أنه مهما كانت شخصية القائد قوية ذكية، فإنه من الخطأ والخطر أن يترك وحده للتصرف التام في جميع شؤون الجماعة، ففي الانفراد بالسلطة معنى التحكم الفردي والتسلط، كما أنه من المحتمل أن ينحرف القائد عن أهداف الجماعة تحت تغير ظروفه النفسية الخاصة، كما أن الاعتماد التام على القائد الفرد يعرض الجماعة إلى هزات وعثرات عنيفة كبيرة، إذا ما استشهد أو اعتقل أو أقيل من مهامه، مما يؤثر في استمرار خطة الجماعة سواء كانت تكتيكية أم خطة إستراتيجية مصيرية. لذلك كانت قاعدة الشورى من أصول الإسلام وتعاليمه، وعلى هذا يمكن أن نستخلص من قاعدة الشورى مبادئ وتوجهات عديدة مهمة ونافعة - بإذن الله تعالى -.

التنظيم الرئيسي.. أولاً

أن يكون نمط التنظيم الرأسي الاستشاري هو النمط السائد في تنظيم خلايا كتائب الشهيد عز الدين القسام، وبذلك يتحقق لها مزاياه فتأتي قرارات قادة الخلايا القسامية على أساس من العلم والخبرة والتخصص، وتستطيع عند ذلك تنفيذ مهامها وخصائصها بكفاءة عالية جداً؛ لأنها تكون قد أعدت واستعدت وشاورت فعملت.. وبدهي أن حجم القوة القسامية يقرر حجم عناصر المشورة التي تلحق بها، فعلى المستويات الكبيرة تتولى مهام المشورة إدارات وأجهزة متخصصة.. كما هو الحال الآن في قطاع غزة، أما في الضفة الغربية والقدس المحتلة وأراضي العمق الفلسطيني التي احتلت عام ١٩٤٨ فتكون على المستويات الصغرى، فقد يتولاها فرد واحد أو أكثر حسب الأحوال والظروف الميدانية التي يقدرها القائد القسامي الإخواني الحمساوي.

ثانياً: التخطيط والإعداد نهج شوري

إن الشورى في كتائب القسام تستهدف مشاركة المنفذين في أعمال التخطيط والإعداد، وذلك من أهم دعائم الكفاءة والتمام في إنجاز الأعمال وتحقيق الغايات والأهداف.

فهناك فرق كبير بين أن تكتفي القيادة بإصدار القرارات التي يتعين على العضو تنفيذها وبين أن تحرص القيادة القسامية على مشاركة وإشراك هؤلاء الأعضاء في عملية التخطيط وصنع القرار قبل صدوره، ولهذا النهج الشوري فوائد عظيمة من أهمها:

١. أنه يجعل المجاهدين القسامين أكثر تفهماً للأهداف التي يراد الوصول إليها وتحقيقها من وراء قيامهم بالعمليات الجهادية.

٢. أنه يضمن اهتمامهم الشديد وحماسهم وإيجابيتهم في تنفيذ الخطة التي (سأهموا في وضعها والإعداد لها والتخطيط لكل صغيرة وكبيرة فيها).

٣. وهو يضمن كذلك أن تكون خطة (واقعية قابلة للتحقيق) لأن مشاركة المنفذين وهم يعبرون عن الواقع وعن القرارات الحقيقية في ميدان العمل الجهادي ضد العدو الصهيوني مما يمنع أن تحتوي الخطة العملية على مهام يصعب أو يستحيل تنفيذها، وهذا ما يعبر عنه علماء الإدارة الحديثة في قولهم (إن القيمة الحقيقية لأية خطة تكمن في واقعها وإمكانية تنفيذها وأن الخطط ذات الشأن هي تلك التي يكون لديها فرصة أكبر من التنفيذ) وهكذا يوجه مبدأ الشورى إلى غرس وعي التخطيط، ويؤدي إليه، وهذا الغرس ينمو في عقول مجاهدي كتائب الشهيد عز الدين القسام عن طريق التعلم والملاحظة والتدريب والممارسة العملية وفقاً للأسس الآتية:

* الحرص من قبل القساميين على دوام الحصول على أكبر قدر من المعلومات والبيانات الدقيقة والشاملة وعلى دراستها وتحليلها مع الإيمان بحيويتها للتخطيط العسكري السليم.

* التعود والتدريب على التفكير العملي المنظم والملاحظة والاستقراء والتنبؤ (أن يكون التفكير تفكيراً بعيد النظر سابقاً للزمن) وهو أرقى مراتب الفكر وألزمها للتخطيط والإعداد السليم.

* اقتناع الجميع بتشكيل سلوكهم وفقاً للإيمان بأن التخطيط أمر حيوي لتنظيم العمل الجهادي المقاوم وأسلوب أمثل لتحقيق الأهداف بأكبر قدر من الكفاءة والاحترافية اللازمة لتنفيذ العمليات الجهادية بمختلف أنواعها.

ثالثاً: العصف الفكري الشوري

إن للنهج الشوري فائدة كبيرة وعظيمة في مجال التدريب على القيادة بالنسبة لقيادة المقاومة الجدد، لأن كل قائد قسامي مسؤول عن إعداد القادة من بين رجاله، وعليك أن تحرص دائماً على مشاركتهم في الأمور المختلفة مثل دراسة المشكلات أو التخطيط للمعركة؛ لأن ذلك يعلمهم التفكير العلمي المنظم، ويتيح لهم فرصة التزود بالخبرة العملية تحت إشرافه وتوجيهه، كما يمكنه من اكتشاف المواهب والقدرات البارزة من بين مقاومي القسام، فيعمل على تنميتها ويتعهد بها بالتوجيه والرعاية حتى يتبوأ ويصل أصحاب تلك المواهب والقدرات إلى أفضل المراكز في الوقت المناسب.

إن التفكير الجماعي المنضبط يولد عصفاً فكرياً مجدياً ذا نتائج طيبة مع العمل المقاوم، ويؤدي حكماً للتقارب ما بين القائد ذي الخبرة القديمة الحكيمة وبين قادة المستقبل أصحاب الفكر الحديث.

رابعاً: أمانة الرأي ومسئوليته

إن الدين الإسلامي حثّ على إبداء الرأي موضحاً أن الرأي أمانة ومسئولية، لذلك على من يستشار أن يقول بصدق وإخلاص وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "المستشار مؤتمن" رواه أبو هريرة وابن ماجه.. ويقول أيضاً: " إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه". خرجه ابن ماجه في سننه.

والإسلام يعتبر الانحراف عن الصدق والإخلاص في إبداء الرأي من قول الزور الذي أمر الله باجتنابه وقرنه بعبادة الأوثان في قوله جلّ شأنه:

﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾ (سورة الحج، الآية ٣٠).

كذلك يحذّر الإسلام من الامتناع عن إبداء الرأي، ويحذر من كتم الشهادة كما في الحديث الشريف: "من كتم شهادة إذا دعي إليها كان كمن شهد بالزور".

خامساً: المشورة الصالحة وأهل الرأي السديد

إن الإسلام يوجّه إلى الأخذ بالمشورة الصالحة والنزول على الرأي الصواب، كما فعل الرسول القائد_صلى الله عليه وسلّم_ في غزّة بدر، حيث نزل على رأي الحُباب بن المنذر ومشورته ونقل الجيش إلى موقع قريب من ماء بئر بدر، حيث أشار الحباب، وينطوي قول الرسول للحباب "أشرت بالرأي" على مغزى رفيع، فحق النزول على الرأي هو الاستشارة بالرأي الصواب وتكريم صاحبه وحفز همة الآخرين على التفكير وإبداء الرأي والمشورة.

ويجب أن يكون المستشار من أهل الرأي الذي يصوّر رأيهم عن سعة في المعرفة وعمق في التجربة والخبرة، وقد روى الإمام أحمد بسنده أن الرسول _صلى الله عليه وسلّم_ قال لأبي بكر وعمر- رضي الله عنهما:- "لو اجتمعنا في مشورة لما خالفكما".

سادساً: المشورة المشورة.. ثم تنفيذ الخطة

ومن الجليّ أن الإسلام يوجّه إلى أن تنفيذ الخطة العسكرية بعد المشورة واجب، وأنه إذا استقر الرأي على أمر ما، فلا محل لتردد أو مناقشة، لأن من شأن ذلك تعطيل التنفيذ والقتل في تحقيق الأهداف، وهذا التوجيه هو بعض ما يفهم من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾. (سورة آل عمران، الآية ١٥٩).

ولذلك، فلتعلم يا بن القسام يا حامل لواء الإسلام، أن الشورى نهج لا حياد عنه ولا رجعة فيه. وأن منهج الشورى الصحيحة يؤدي إلى تأمين صعود الثقافات إلى مراكز التوجيه داخل الحركة وهؤلاء هم أصحاب العلم والإيمان والعمل.

كذلك فإن صعود الثقافات إلى مراكز التوجيه هو الذي سيؤمن وضوح الأهداف البعيدة في أذهان المخلصين من مجاهدي القسام الجدد الذين لم تعركهم التجارب، وهو الذي سيؤمن تفسير السياسات المرحلية لهم، وإيضاح حسومها وفي كل هذا مساهمة أكيدة من التأمين ضد الاندفاع المستعجل، وضد الاندفاع غير الصادق.

ولتدرك أن مركز التوجيه داخل كتائب القسام هو مركز القدوة، وهو مركز حساس ودقيق، ويجب ألا يوضع فيه إلا من كان يغلب عليه الجد والزهد والتجرد والإقدام، ويشتاق إلى التعب والبذل والتضحية؛ لأن صاحب مركز التوجيه داخل القسام هو إمام لمن حوله يقلدونه، ولا بد أن يكون فعله أبلغ في التعبير عن عقيدته القسامية المقاومة من قوله، ولأن التنظير أعظم تأثيراً من القول، ولأن العمل أعظم من التنظير والقول، والقائد القسامي تستمر هيئته الإيمانية والقسامية في التعاظم، وتظل في تصاعد ما تصاعدت هيئته لله تعالى وتعاضمت اهتمامات قلبه بدعوته وإعلاء كلمة ربه ودينه.

وهنا، سوف أقدم عدداً من الصفات اللازم وجودها في القائد القسامي، وتلك الصفات أقرها علم النفس العسكري، وأقرتها القيادة الميدانية التي خاض غمارها مجاهدو القسام وقادته على مختلف المراحل، وكمدخل يوصلنا إلى صفات القائد القسامي سأطرق باب طرائق القيادة العسكرية، وهي بين اثنين: **الأولى:** الطريقة الإرغامية في القيادة العسكرية، وتسمى أيضاً.. بالطريقة المطلقة أو القيادة التي يرغب بها القائد أفراد جماعته على طاعته معتمداً على سلطة مركزه وقوته (أي قوة من يواليه من جنود وأتباع ومناصرين من المنتفعين).. ونجد في هذا النوع من القيادة الإرغامية المستبدة أن أفراد الجماعة يطيعون أوامر القائد المستبد وهم غير مقتنعين ذاتياً بتلك الأوامر، فهم يرغبون أنفسهم على طاعته خوفاً من عقابه أو طمعاً في مكافأته، ونلاحظ أن للقيادة الإرغامية مساوئ كثيرة، منها أنها قد تؤدي إلى توليد

شعور عدم الرضا من أفراد الجماعة، فتؤدي بالتالي إلى انخفاض روحهم المعنوية، وقد تولد شعورًا عدائيًا نحو القائد وإلى ضعف كفاءة أفراد الجماعة في تحقيق الأهداف وإنجاز الأعمال التي أرغموا على تحقيقها، وقد تؤدي أيضًا إلى نفس روح السلبية عند المرؤوسين والاكْتفاء في العمل بالقدر الذي يجنبهم عقاب القائد وإلى محاولة التهرب من العمل في غيابه.

الثانية: الطريقة الإقناعية- النابعة من الشورى- فهذه الطريقة في القيادة تجعل أفراد الجماعة يطيعون وأمر القائد عن رغبة واقتناع ذاتي، وليس عن رهبة وخوف. ويعود ذلك لأن هناك هيئة أو مجلس للشورى يوجهه ويرشده، وأن هناك أيضًا فروق كثيرة وكبيرة بين الأشخاص من ناحية القدرات والإمكانات البدنية والعقلية، وهو ما يسمى بالفروق الفردية، وتعتمد القيادة الإقناعية بحد كبير على قدرة القائد ومهاراته وسعة علم مستشاريه في السلم والحرب، أي قدرته على القيادة أو على مواجهة المواقف وحل المشكلات، وبعبارة أخرى قدرته على إدارة دفة الأمور بنجاح.

إن أهم ميزات القيادة الإقناعية أنها تؤدي إلى توليد شعور الارتياح والرضا عند المسؤولين، وبالتالي تؤدي إلى ارتفاع الروح المعنوية لدى أفراد الجماعة في تحقيق الأهداف التي يوجههم إليها، وإلى خلق روح الإيجابية فيهم، وإلى زيادة إنتاجهم ومساهماتهم في حل المشاكل والصعاب التي تواجههم، وإلى الإقبال على العمل بإخلاص وحماس في غيبة القائد.

ولتعلم يا ابن القسام عنصرًا كنت أم قائدًا، أن القيادة الإقناعية أفضل وأنجح طريقة للقيادة، وأن القائد الفذ هو الذي يستطيع بقدرته أن يُقنع أفراد جماعته بقوة قراراته والأهداف التي يختارها بعد أن تكون هيئة الشورى أقرتها وأجمعت عليها، وهنا أتمنى عليك أيها القائد القسامي أن تعي جيدًا ما سوف تفرّوه عينك، وأن تكون قادرًا على الفهم والتطبيق.

إن القائد الذي يتّخذ الأسلوب الإقناعي، يستطيع أيضاً بحذر وذكاء أن يرغم أفراد جماعته من خلال قوته على قبول قراراته وأهدافه، إذا استدعت ذلك مصلحة العمل الجهادي، أي أن القائد الناجح يتخذ أسلوب القيادة الإقناعية أساساً لسياسته وطريقته في القيادة، وهو يملك أيضاً القوة التي تمكنه من إرغام مرؤوسيه على القبول عند الضرورة.. والجدير بالذكر أن أغلب أفراد الجماعة سوف يطيعونه في هذه الحالة الخاصة، اقتناعاً لا خوفاً؛ لأنهم سوف يفتنون أنفسهم بأنه لا بد وأن هناك ما يبرر ما ذهب إليه القائد القسامي إليه، وذلك سبق معرفته به وثقتهم فيه وتقديرهم لكفاءته ومقدرته.

القيادة القسامية في المدرسة الإسلامية

إن الذي قرّره خبراء العلوم العسكرية يقترب مما قرّره المدرسة الإسلامية، في أن القيادة العسكرية الناجحة هي التي تتأسس على نمط القيادة الشورية الإقناعية، ولا تستبعد استخدام نمط القيادة الإرغامية في ظروف خاصة عند الضرورة، لكن ما قرّره العلم العسكري لا يمكن أن يتسامى إلى مستوى النظرية الإسلامية الشورية سموها ونبلها وشرف مصدرها.

فإذا كان القائد في الجيش يستند إلى السلطان والصلاحيات التي يخولها له القانون، سواء قانون الدولة أو قانون الأحكام العسكرية، فإن لدى القائد القسامي قانون تقف أقوى القوانين الوضعية دونه هزيلة عاجزة؛ لأنه قانون سماوي منزل، لا يأمر بطاعة القائد فحسب، بل يقرن ذلك بطاعة الله وطاعة رسوله، كما في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (سورة النساء، الآية ٥٩).

ومع ذلك، فإن نظرية المدرسة الإسلامية في القيادة توجّه إلى تفعيل نمط القيادة الإقناعية، لأن الاقتناع يوّلّد لدى الفرد الدافع الذاتي نحو الطاعة والسلوك السليم، وأنه هو حجر الزاوية في بناء الانضباط السليم.

ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة، فقد كان - عليه الصلاة والسلام - مثلاً كاملاً لنمط القيادة العسكرية الحقة، فقد كان الإقناع وسيلته الأولى في طاعة المؤمنين له؛ لأن الإقناع يلزم الفرد، ويؤكد الصلة بين القائد ومرؤوسيه، ويحقق النتائج المرجوة على أحسن الوجوه.

وهذا أمر لا غرابة فيه، حيث أن الإقناع والإقناع كانا أصلاً الأساس في الدعوة الإسلامية، كما في قوله تعالى:

﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٥٦).

وفي قوله: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (سورة النحل، الآية ١٢٥).

كما أن الإسلام يدعو أن تقوم الصلة بين القائد المجاهد ومرؤوسيه على أسس من الرحمة والرفق والمحبة، كما يفهم من قوله تعالى:

﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٥٩).

وهكذا تدرك أيها القائد القسامي أن القيادة الإقناعية تنسجم مع ما قرره الإسلام من مبادئ الحرية والكرامة الإنسانية، ومع مبدأ الشورى وهي من المبادئ الأساسية التي صنعت أمة ذات حضارة عريقة أضاعت للعالم طريق الحرية والتقدم، كما صنعت جيشاً لا يقهر وقادة مجاهدين وأبطالاً عباقرة في فن الحرب.

وهنا تكمن حكمة القيادة القسامية، حيث إن الذين يساقون لا يمكنهم يوماً من الأيام أن يكونوا قادة فكر أو قادة خلايا مقاتلة في سبيل الله، خلايا قسامية تقود المجاهدين نحو النصر بإذن الله، ونحو تحرير القدس والأقصى وطرد الصهاينة اليهود من فلسطين.. كل فلسطين.

وهكذا كان الرسول _صلى الله عليه وسلم_ لا يقود بمقتضى السلطة، بل بالكفاءة والمقدرة والأخلاق والحب والشخصية والثقة، وكل صفات القيادة الإسلامية الرشيدة.

وكان - عليه الصلاة والسلام - لا يستبد برأي، بل كانت يتبع مبدأ الشورى، فيستشير أصحابه، وينزل على الرأي الذي يبدو صوابه بصرف النظر عن صاحبه، كبيراً كان أم صغيراً.. ففي غزوة أحد كان الرسول يرى البقاء في المدينة، بينما رأى الأكثرية (أكثرية أصحابه) الخروج لقتال قريش خارج المدينة، فنزل على رأيهم، وقد حدث في هذه الموقعة ما يؤكد حسم الرسول القائد وحزمه، فقد أحسّ المسلمون أنهم قد استكروها النبي على الخروج على خلاف ما كان يراه، فلاموا أنفسهم وأبوا رجوعهم عن رأيهم، وقالوا: استكرهنا رسول الله، ولم يكن لنا ذلك. ولكن النبي _صلى الله عليه وسلم_ قال: "ما كان لنبي إذا لبس لأمته (أي الدرع والسلاح) أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه، أنظروا ما أمركم به فاتبعوه والنصر لكم ما صبرتم".

وهنا يقدم لنا الرسول الكريم خير قدوة، ودليل على احترام المشورة، وفي نفس الوقت يقدم لنا نموذجاً للحسم واستخدام أسلوب القيادة الإرغامية، حيث لا يسمح بالمناقشة، وهذا ما يعبر عنه تصميمه على الخروج رغم عودة ورجوع المسلمين في رأيهم وهذا ما يفهم من عبارة ..انظروا ما أمركم به فاتبعوه..

* وهناك موضع إيجابي وصحيح للقيادة الإرغامية:

فلقد كان - عليه السلام - يلجأ إلى أسلوب القيادة الإرغامية عند الضرورة، وخاصة في أوقات الحرب، وكان الخير يبدو دائماً في أعقاب ما حمل وأرشد أصحابه إليه.

ولعل أبرز صور القيادة الإرغامية التي تعتبر ضرورة في بعض المواقف، هو ما حدث في صلح الحديبية، حيث نلاحظ أن الرسول القائم لم يستشر

أصحابه في شروط ذلك الصلح، على الرغم من أنه استشارهم في كافة الشؤون الأخرى.. أما سبب عدم استشارتهم في ذلك الصلح فهو أنه كان عليه الصلاة والسلام يرى ما لم يكن أصحابه يروه، وأن الاستقرار الناتج بسبب ذلك الصلح سيكون خيرًا شاملاً للدعوة، وقد كان أصحابه يظنون أنهم بهذا الصلح يعطون الدنية في دينهم، وكان الرسول يقصد من التفاهم مع قريش أهدافًا بعيدة جدًا، ليس من مصلحة الدعوة ولا مصلحة المسلمين الإخبار عنها، وقد ظهرت أهدافه فيما بعد من تيسير نشر الدعوة الإسلامية، فموقف كهذا لا مجال فيه لاستشارة أحد، ولا تصلح فيه المناقشة فهو يعدّ كما في العلم العسكري الحديث من الأهداف الاستراتيجية العليا.

أيها القائد القسامي المجاهد كن قائدًا، تأخذ زمام الأمور، وكن حريصًا كل الحرص على أخوتك ودعوتك وقضيتك، فأنت مؤتمن على الأرواح والدين والمال.. كن لينًا وكن صلبًا، وكن عنيدًا وكن مرنًا، وكن فوق ذلك كله تخاف الله ولا تخشى سواه، فمن كان مع الله لا يبالي، واعلم أن الصخرة الصغيرة إذا ما وضعت في مكانها الصحيح فإنها تعدل بقوتها قوة جبل وأكثر.

فأنت يا ابن القسام عبد القدوس الواحد الأحد، وأنت ابن القدس معراج النبي القائد، وأنت ابن جماعة الإخوان المسلمين، وابن حركة المقاومة الإسلامية.. حماس.. فكن قدوةً طيبةً حسنةً، فأنت المثل الذي يحتذى به.

الفصل الخامس أبجديات القيادة

الفصل الخامس

أبجديات القيادة

إنّ في أبجديات القيادة العسكرية عنصرين أساسيين، وهما:

١. صفات القيادة: وهي تلك الصفات التي يتّصف بها المقاوم، ليكون قائداً قسامياً ناجحاً حتى يؤدي واجبه القيادي على أحسن وجه.

٢. مبادئ القيادة: وهي القواعد والأحوال التي يجب أن يتّبعها ويطبّقها المقاوم القسامي عند ممارسته للقيادة.

وهنا سوف أبدأ بإيضاح الصفات القيادية للقائد القسامي:

أولاً: صفات القائد القسامي

اعلم يا بن القسام، ابن كتائب الشهيد عز الدين القسام، أن القائد المجاهد الصالح هو الذي يكون غارقاً بعمله وخبيراً فيه وملمّاً بكل دقائقه، ولا يتأتى ذلك إلا على أساس مخافة الله - عز وجل -، وعلى العلم والمعرفة مع التدرّب العملي على كل ما يتعلّق بأصول القيادة، وقد عني دين الإسلام الحنيف بالعلم والتدرّب، وحثّ عليهما ووجّه إليهما، فهي من أساس إعداد القوة التي أمر الله تعالى بها، كما ووجّه الإسلام إلى استمرار التزوّد بالعلم في كلّ جديد، والأخذ بأسباب التقدّم والتطوّر العلمي والمعرفي، فنحن في عالم يزخر وبشكل يومي بالاختراعات الجديدة والحديثة في كافة المجالات وعلى الأخص في مجال العلوم العسكرية.

ثانياً: اعرف نفسك تكن قائداً

إن من واجب المجاهد القسامي أن يعرف مواطن القوة والضعف من نفسه، فالإنسان الذي لا يعرف خصائص نفسه، ولا يعرف قدراته وحدودها لا يكون سيد نفسه، ولا يرجى فيه أن يكون قائداً، وكذلك فإن الإنسان الذي يدرك نواحي النقص أو الضعف فيه، ولا يعمل على إصلاحها سوف يفشل فشلاً ذريعاً في أداء مهامه القيادية.

ورحم الله عمر بن عبد العزيز القائل: "رحم الله امرأ عرف قدر نفسه" إن في هذا الأثر توجيه إلى أن يعرف الإنسان نفسه، وما فيها من جوانب القوة أو الضعف، كما يوحى باتخاذ ما ينبض نحوها من عمل إيجابي يتعهد جوانب القوة بالمحافظة والتنمية وجوانب الضعف بالعلاج والإصلاح.

ثالثاً: اعرف رجالك تكن قائداً

كما يجب على القائد القسامي معرفة نفسه، يجب عليه أن يعرف رجاله المجاهدين جيداً؛ لكي يدرك ما يمتلكونه من خصائص ومن فروق وقدرات وملكات.

وهذه المعرفة من أولى مهام القائد القسامي الذي نصب أميراً لسرية مجاهدة أو خلية مقاومة فهذه المعرفة تمكّنه وتعيّنه على قيادة رجاله بتمكّن ونجاح، وتوجيه كل منهم إلى ما يناسبه، وبذلك يمكنه استخدام أقصى ما لديهم من طاقات مادية ومعنوية نحو تحقيق الأهداف، ولقد كان الرسول القائد _صلى الله عليه وسلم_ يعرف رجاله تماماً، ويعرف نفسياتهم؛ لأنه ولد بينهم وعاش وترعرع معهم، وكان يعيش بينهم فرداً منهم يشاركونهم في السراء والضراء.

وإن معرفة القائد لرجال المجاهدين ونفسياتهم هي الأساس من وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.. فمثلاً في مجال الشجاعة والجرأة كان يعرف من يكلف بالعمل الذي يحتاج إليها، ومن ذلك أنه في غزوة أحد أمسك عليه الصلاة والسلام بسيف، وقال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجال يريدون أخذ السيف، لكن الرسول أمسكه عنهم، حتى قام أبو دجانة فأعطاه له.. ولقد أثبتت حوادث المعسكر حسن اختيار الرسول القائد المعلم لأبي دجانة، فقد سأل رسول الله قائلاً: (ما حقه يا رسول الله؟) قال: " أن تضرب به العدو حتى ينحني". ولقد قاتل أبو دجانة بهذا السيف قتالاً شديداً، فلما دارت الدائرة على المسلمين قام بعملٍ يدل على الشجاعة والتضحية والفداء،

إذ حنى ظهره على الرسول وجعل من ظهره ترسًا يحميه، وكان النبل (السهم) يقع فيه.

وكان الرسول يعرف في حسان بن ثابت أن قلبه لا يقوى على الحرب، لكنه كان شاعرًا بليغًا، ففي غزوة أحد والخندق تركه في المدينة المنورة، واستفاد من شعره البليغ في مجال الحرب النفسية، فكان - عليه الصلاة والسلام - يقول له: " يا حسان اهج المشركين وجبريل معك.. إذا حارب أصحابي بالسلاح فحارب أنت باللسان "

ولما أراد الرسول أن يختار بين المسلمين من يأتيه بأخبار المنافقين، اختار حذيفة بن اليمان العباسي - رضي الله عنه -؛ لأنه كان يتمتع بمزايا رجل الاستطلاع والمخابرات تمامًا، فقد كان معروفًا بأنه شديد الكتمان لا يفشي سره لأحد، ويتمتع بحضور البديهة، فلا يرتبك في المواقف الحرجة أو بتقديره العميق لأهمية صيانة المعلومات عن الأعداء، فلا يفشي نيّاته ونيّات المسلمين وأهدافهم، وكذلك كان يتمتع بالذكاء الخارق وبموهبة حب الاستطلاع والاستقصاء.

وقد استمال الرسول قلوب المؤلفة قلوبهم بالمال بعد غزوة حنين؛ لأن المادة كانت تغطي على جوانب تفكيرهم، إذ لم يستشعروا بعد حلاوة الإيمان. قال صفوان بن أمية: ما زال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعطيني من غنائم حنين وهو أبغض الخلق إليّ، حتى ما خلق الله شيئًا أحب إليّ منه!. وفي المقابل، حرم النبي - صلى الله عليه وسلم - أهل المدينة من الأنصار المؤمنين الصادقين من غنائم يوم حنين؛ لأنهم كانوا أغنياء بإيمانهم العظيم، وقد بكوا حتى أخضلت لحاهم بالدموع حين قال لهم الرسول - صلى الله عليه وسلم -: " أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاه والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم".

وهكذا كان الرسول _صلى الله عليه وسلم_ القائد المعلم يعرف مزايا رجاله، ويكلف كل واحد منهم بما يتفق مع قدراته البدنية والعقلية، فكان يعرف فيهم صاحب الرأي والمشورة، ومن يستطيع قيادة غيره، ومن لا يستطيع أن يكون أكثر من جندي بسيط إلى غير ذلك من القدرات، فاستطاع بذلك اختيار الرجل المناسب في المكان المناسب (لقد كررت هذه الجملة عدة مرات لعلها تجد مكانها إلى قلبك يا قائد القسام) ولقد استطاع الصحابة ورجال الرسول _صلى الله عليه وسلم_ إنجاز مهامهم بكل كفاءة ونجاح.

رابعًا: أحسن معاملة الجند المجاهدين تكن قائدًا

عامل جندك أيها القائد القسامي كما تحب أن تعامل من قبل قادتك ومشايخك، كن لهم أبًا وأخًا صديقًا صدوقًا.. ولقد قال النبي - عليه الصلاة والسلام -: " كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته". وقال أيضًا: "لا يسترعي الله تبارك وتعالى عبدًا رعيّة قَلَّتْ أو كَثُرَتْ إلا سألَهُ تبارك وتعالى يوم القيامة أقام فيهم أمر الله أم أضاعه حتى يسأل عن بيته خاصة".

وكان - عليه الصلاة والسلام - مثلًا أعلى في معاملته لبلال الحبشي ولصهيب الرومي وسلمان الفارسي.. لقد كان هؤلاء وهم عبيد، بمنزلة يحسدهم عليها العرب من أهل مكة والمدينة المنورة. وما كان يقبل أن توجه إلى أحد منهم إهانة تحط من قدرهم.. ففي فتح مكة قال أبو سفيان: "يا محمد جئت بأوياش الناس، ومن تعرف، ومن لا تعرف" فقال - عليه الصلاة والسلام -: "أنتم أظلم وأفجر"

إن العدل والمساواة هي طابع الإسلام العام، ودليل المدرسة الإسلامية، ومعلم من معالم أجدياتها في معالجة الرجال، ولقد قال تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾ (سورة الحجرات، الآية ١٣).. لأن الله يأمر بالعدل في قوله تعالى: ﴿إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (سورة النحل، الآية ٩٠) وقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ (سورة الأنعام، الآية ١٥٢).

ولتعلم أيها القسامي القائد أن العدل أساس الحياة والمساواة بين الناس في الحقوق والواجبات، وهي البلمس الذي يزيل أمراض القلوب ويقضي على الأحقاد والضغائن.

وكان النبي _صلى الله عليه وسلم_ يكثر من دعوته إلى العدل والإنصاف، ويحذّر من الظلم وينهى عنه، ومن ذلك قوله - عليه السلام -: " اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة " وقوله: " اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام، يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين ". وقوله: " اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ".

وإياك ثم إياك يا ابن القسام أن تمايز بين نفسك وبين أخوتك المجاهدين، واقتد بذلك بسيدك وقائدك الرسول المعلم سيدنا محمد _صلى الله عليه وسلم_، الذي كان يكره أن يميز نفسه عن أصحابه بشيء أبداً، وحدث أنه كان يطوف بالبيت فقال: "اسقوني، فقالوا: إن هذا الماء يخوضه الناس، ولكننا نأتيك بماء من البيت.. فقال عليه السلام: لا حاجة لي فيه، ..اسقوني مما شرب منه الناس."

وعند بناء المسجد في المدينة المنورة حمل النبي الحجارة والتراب والجريد والبن، كأى فرد من المسلمين، وكان - عليه الصلاة والسلام - على سفر، وتهيأ أصحابه لإعداد الطعام، وتقاسموا العمل بينهم، فقال: وعلى جمع الحطب.. فقالوا: يا رسول الله، إنا نكفيك هذا، فقال الرسول: " قد علمت أنكم تكفوني إياه، ولكن أكره أن أتميز عليكم، وإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه"

ومن أمثلة رعايته _صلى الله عليه وسلم_ أنه كان أثناء سير الجيش يتقدم مرة ويتأخر عنه أخرى، لينظر في أمورهم فيساعد المتأخر ويردّف الراجل (أي يركب الماشي على قدميه خلف الراكب على دابة) ويعفي الضعيف أو يدعو لرجاله بالنصر والقوة. وبذلك تقوى قلوبهم وتتعانق أرواحهم ويجدون

من حسن المعاملة بلسماً لجراحهم وعضاً من ما أصابهم من مشقة الطريق وعناء السفر.

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من أمير عشرة إلا يؤتى به مغلولاً يوم القيامة حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور". وعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم (أقربهم) مجلساً: إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأبعدهم مجلساً: إمام جائر".

وقد حدث أن النبي القائد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان يعدل صفوف المسلمين في غزوة بدر، فوجد رجلاً (اسمه سواد) خارجاً عن الصف، فوكزه بعصا خشبية كانت بيده، وقال: استو يا سواد.. فقال الرجل يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالعدل والحق فاقدني (أي مكّني من القصاص من نفسك) فكشف النبي عن بطنه وقال: استقد (أي خذ القصاص) فتأثر الرجل وقبّل بطنه الشريف.. تلك صورة ناصعة لخلق القائد وعدالته وحسن معاملته لرجاله، فقد قبل سيدنا محمد- رسول الله وقائد جيش المسلمين- على نفسه أن يقتص منه جندي من جنوده؛ لأن الحق معه وهو الذي بعثه الله بالحق. على القائد أن يدرك جيداً أن في هذا العصر والزمان، قد أصبح الجنود والمجاهدون رجالاً مثقفين، وهذا يعني أنهم من أصحاب التفكير والتقدم، بل والنقد أيضاً، ويهتمهم دائماً معرفة ما يجري وما يريد القائد أن يقوم به.. ولماذا.. ومتى. ويهتمهم أيضاً أن يتأكدوا من أن قائدهم يعمل ما في صالحهم، وأنهم بين أيدي أمينة، ولذلك يريدون دائماً رؤيته والتواصل معه حتى يرسموا في أذهانهم صورة له، فيعرفوا من أي نوع من المجاهدين هذا القائد.. فتواصل مع جندك وكن قريباً منهم، وبذلك ترفع من روحهم المعنوية في وقت السلم والراحة وفي وقت الحرب والمشقة.

خامساً: حافظ على أرواح جنودك تكن قائداً

إن المحافظة على أرواح الجنود قد أصبحت مبدأ من مبادئ القيادة في العصر الحديث، ولذلك عليك أن تسعى إلى كسب الحرب بأقل الخسائر، أي بأقل عدد يقتل من الجنود، وقد أصبح هذا المبدأ جوهر الاستراتيجية العسكرية الحديثة، ومظهرًا من مظاهر تطبيق علوم العصر وعلى رأسها علم الإدارة.. فالإسلام قد سبق في تقرير هذا المبدأ منذ أربعة عشر قرنًا، فقد طبق النبي صلى الله عليه وسلم نظرية الدرع، التي تقوم على إظهار القوة للعدو وإرهابه ومنعه من العدوان.. فالعقيدة العسكرية الإسلامية في مجال إدارة الصراع المسلح تقوم على أصول الإدارة والرقابة، وهذا ينضوي على المحافظة على أرواح الجنود، ويؤدي إلى كسب الحرب بأقل الخسائر.

وإن قول الله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ (سورة الأنفال، الآية ٦٠). ينضوي على المحافظة على أرواح الجنود، ويؤدي إلى الانتصار.. وهذا لا يعني ألا يقاتل القائد مع جنوده قتالًا قويًا طمعًا في نيل الشهادة. فليس بعد الشهادة في سبيل الله إلا الحياة الأبدية في جنان الخلد والنعيم ﴿ومن يقاتل في سبيل الله فيُقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا﴾ - (سورة النساء، الآية ٧٤).

سادساً: اعمل على اتخاذ القرارات السليمة والحاسمة تكن قائداً

ليس هناك من ينكر قدرة الرسول الكريم على اتخاذ القرارات السليمة والحاسمة، والقرار السليم يبني على القدرة العقلية على تقدير الموقف تقديرًا سليمًا للخروج منه باستنتاجات سليمة، وكذلك على مدى المعلومات التي تتوفر للقائد.

وقد كان الرسول الكريم معنيًا بالرصد والاستطلاع غاية العناية، مستخدمًا في ذلك شتى الوسائل المعروفة في العلم العسكري من علماء وراصدين ودوريات استطلاع، ومن استجواب للأسرى من أجل الحصول منهم على

معلومات تفيده في القتال. وكذلك كان الرسول _صلى الله عليه وسلم_ حريصًا كلَّ الحرص على إعداد أصحابه وتزويدهم بكلّ المعلومات الضرورية في التخطيط والتنفيذ.

واعلم أخي القائد القسامي أن من القرارات المسؤولة والحاسمة التي يمكنك اتخاذها والعمل عليها هو أن تتيح لمعاونيك المجاهدين الذين يعملون تحت إمرتك معرفة المعلومات بقدر المستطاع أولاً بأول، وأن تقودهم بروح الفريق الواحد عاملاً معهم جنباً إلى جنب، وإيّاك أن تتخلف الصفوف بل تقدّمها، وكن دائماً في الأمام وعلى خط الخطر، خط النار، ولتضع نصب عينيك ما قال رسولنا القائد عن تحمّل المسؤولية، لقد قال - عليه السلام -: " كلّم راعٍ وكلّم مسؤول عن رعيته". فهو هنا يضع الأساس الأول في مهمة القائد، ألا وهو المسؤولية، وقدّم لنا بنفسه المثل الأعلى على ذلك في تحمّل مسؤوليته الهائلة منذ أن بعثه الله - عزّ وجل - وحتى وفاته - عليه السلام -.. لقد كان أصحابه يعاونونه في كلّ شيء لكنه كان يتحمّل مسؤولية كل شيء وحده فهو رسول الله، وهو قدوتنا التي نفتدي بها.

سابعاً: دوام التدرّب والاستعداد من دوام أسباب النصر

لقد تطرّق العلامة الشيخ يوسف القرضاوي إلى عدة نقاط مهمة في بعض كتبه، ولأن تلك النقاط تتعلق مباشرة في موضوع الجهاد والمقاومة، أحببت أن أتطرق لها في الباب السابع وهو باب دوام التدرّب والاستعداد.

(أ) التدرّب المستمر.. من مستلزمات الحرب ومتطلبات القتال التي يجب على المسلمين أن يهتموا بها ولا يغفلوها، التدرّب المستمر على استخدام الأسلحة حتى يكتسبوا فيها مهارة عالية تفوق مهارة عدوهم، وذلك بإتقان التدرّب واستمراره حتى لا ينسى، وهذا فرض كفاية على الأمة؛ وذلك لأن كسب الحرب وتحقيق النصر لا يتم إلاّ بهذا التدرّب، وما لا يتم الواجب إلاّ به، فهو واجب.

(ب) الرمي.. لقد فسّر النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ فقال: "ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي.. ألا إن القوة الرمي". والرمي كان يراد به قديمًا رمي العدو بالسهم والنبال المعروفة في ذلك الزمان، ولكنها في عصرنا تشمل ما هو أهم وأعظم وأشد خطرًا، مثل الرمي برصاص البنادق والمدافع الرشاشة، ويشمل كذلك قذف القنابل بأنواعها وقدرتها المختلفة حتى القنابل النووية، ومنها إلقاء الصواريخ الموجهة سواء كانت صواريخ أرض أرض أم أرض جو أو جو جو.. فكل هذا يدخل في باب الرمي الذي فسّر الرسول به القوة، وهذا يعني الرمي من أهم عناصر القوة. وقال صلى الله عليه وسلم: (ارموا واركبوا وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا).

والمراد بالركوب هنا: ركوب الخيل وهو من أعمال الفروسية المطلوبة، وهذا يكسب الإنسان لياقةً بدنيةً ومهارةً حربيةً معًا، قال عمر: " علموا أبناءكم السباحة والرمية وركوب الخيل" وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من علم الرمي ثم تركه فليس منّا أو فقد عصى".

وهذا التوجيه النبوي يعني استمرار التدريب حتى لا ينسى ويخسر المسلم المهارة التي اكتسبها؛ ولهذا ينبغي أن يظل يلهو بفرسه ما بين الحين والحين، فهذا من أبرك أنواع اللهو وأفضلها وإذا دخل فيه بنية الاستعانة على الجهاد إذا طلب له، فهو قرية إلى الله؛ لأنه داخل في أعمال الجهاد والتحريض عليه.

(ج)- الحذر الحذر والاحتياط.. ومن واجبات المسلمين عند القتال أخذ الحذر والاحتياط من الأعداء، واتخاذ كل أسباب الوقاية؛ حتى لا يأخذهم عدوهم على غرة، أو ينتهزوا لديهم غفلة، فينفذوا منها ليخترقوا أسوارهم وليعرفوا أسرارهم ويكشفوا أستارهم، وفي هذا يقول القرآن مخاطبًا جماعة المؤمنين: ﴿يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعًا﴾ (سورة النساء، الآية ٧١).

ومعنى ..فانفروا ثبات أي سرايا متفرقين، أي نظموا صفوفكم وفق حاجاتكم وظروفكم ومصالحكم، فقد تقتضي في وقت ما تفريق المجاهدين إلى سرايا صغيرة، وجماعات قليلة، موزعين على أماكن متعددة، وقد تقتضي المصلحة أن ينفروا جميعًا في جبهة واحدة في مواجهة العدو.

وأخذ الحذر لا ينافي التوكّل على الله، كما قد يتصوّر بعض الناس؛ لأن التوكّل يعني الاعتماد على الله تعالى بعد الأخذ بالأسباب، ومراعاة السنن والحذر، ورعاية الأسباب، وهذا ما استمر عليه الرسول_صلى الله عليه وسلم_ في غزواته كلها من الاحتياط، حتى أنه كان إذا أراد غزوة ورأى غيرها، كما قال كعب بن مالك: "فإذا كان يريد غزوة في الشرق، سأل عن بعض الأماكن في الغرب حتى يتوهم الناس أنه يقصد بغزوته المغرب؛ كي لا يتسرّب الخبر إلى أعدائه، ولم يخالف هذه السنة إلا في غزوة تبوك؛ لعظم خطورتها، حيث كان العدو كبيرًا كثير العدد، وكانت المسافة بعيدة جدًا، وكان الوقت شديد الحر ظاهر العسر، ولا عجب أن رأيناه- عليه السلام- يلبس في غزواته الدروع على صدره والمغفر على رأسه."

وكان قائدنا الرسول يتترس كما يتترس أصحابه، ويحمل السلاح على عاتقه وفي يده، ويتخذ الحراس له، كما رأيناه يلجأ إلى الغار ليتخفى عن أعين المشركين في الهجرة، إلى غير ذلك مما هو معروف من هديه وسيرته..

فعلى المؤمن أن يعمل ما هو من شأنه، ويدع لربه سبحانه ما هو من شأنه، كما فعل الرسول- عليه الصلاة والسلام- في هجرته، فقد رتبّ الأمور أحسن ترتيب، ودبرها أفضل تدبير، من حيث اختيار الغار الذي يختبئ فيه، فاختر من يأتيه بالطعام والأنباء، فاخترها امرأة لا رجلًا وهي: أسماء بنت أبي بكر؛ فهي أبعد عن الشبهة، ومع هذا وصل القوم إلى الغار، وهنا وقفت قدرة محمد وصاحبه، وبقيت قدرة الله المطلقة.. وقال أبو بكر وهو في الغار: يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا.. فقال له: يا أبا بكر ما ظنك

بأثنين الله ثالثهما. ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني
أثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته
عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا
والله عزيز حكيم﴾. (سورة التوبة، الآية ٤٠).
وهكذا احذر يا ابن القسام وخذ الاحتياط، وتوكل على الله.

الفصل السادس

أبجديات اختيار الأمير القسامي

الفصل السادس

أبجديات اختيار الأمير القسامي

الإمارة ضرورة حتمية

(١) ضرورة وجود الأمير:

إن الإمارة ظاهرة اجتماعية ذات جذور عميقة تتصل بطبيعة الإنسان وتراثه الثقافي، ومشاركته لمن حوله في مجتمعه، فالوجود المشترك لشخصية أو أكثر يخلق نوعاً من الحاجة إلى من ينظّم العلاقات القائمة بينهم، وفي هذه الحالة يتولّى أحدهم القيادة.

وإن من طبيعة الحياة أن تجعل من حاجتنا إلى قادة وأمراء أمراً لا بد منه، وألا تكون جماعة إلا ويجب أن يكون لها أميرٌ وقائدٌ يدير أمورها ويقودها.. ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- قائد وأمير جيش المسلمين الأول قد قرّر هذا المبدأ حين قرّر ضرورة وجود قائد للجماعة، حتى ولو كانت صغيرة جداً، فقال -عليه السلام-: "إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم"، وهكذا فإنه مهما صغر عدد عناصر الخلية القسامية، فإنه يجب على تلك العناصر المقاومة اختيار أمير فيما بينهم، وما إن يختاره حتى يكون عليهم سمع وأوامره وإطاعتها.

(٢)-حق القائد في الطاعة:

إن ديننا الإسلامي الحنيف يقرّ وبشكلٍ لا لبس فيه حقّ القائد الأمير في الطاعة من أخوة مجاهدين يعملون تحت إمرته، والطاعة هنا تكمن في أنها لصالح الجماعة أولاً وأخيراً، أي أنها ليست نوعاً من الخضوع لأوامر أمير مستبد، فالقائد القسامي يقود الجماعة لتحقيق هدفها، نعم هدفها أولاً وأخيراً.. فنحن هنا في فلسطين لا هدف لنا إلا طرد الصهاينة المحتلين وتحرير المسجد الأقصى من دنس اليهود، ولا يستقيم ذلك إلا بطاعة أفراد الجماعة للأوامر، وأوامر الأمير.

ولقد كرمت المدرسة الإسلامية الأمير القائد خير تكريم، ووضعت في أسمى منزلة، فحق القائد في الطاعة ثابت، مقرر في أكثر من آية في القرآن الكريم: قال تعالى:

﴿بأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ (سورة النساء: ٥٩)

﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ (سورة النساء، الآية ٨٠)

﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٣٢)

﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾ (سورة النساء، الآية ٦٩).

وقد أنزل الله - عز وجل - بأولئك الذين يعصون الله وأمره، فقال: ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾ (سورة النساء: ١٤). ولقد قال القائد الرسول سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - في موضوع حق القائد في الطاعة ما يأتي:

* "اسمعوا وأطيعوا وإن ولي عليكم عبد حبشي"

* "إنما الطاعة في المعروف"

* " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"

وأختم هذه الفقرة في حق القائد بالطاعة بما قاله - عليه الصلاة والسلام -:
"من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني"
فلتعلم أيها المجاهد القسامي أن طاعة أميرك من طاعة نبيك المصطفى، وطاعة نبيك من طاعة الله تعالى ومن رسوله الكريم سيدنا وقائدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -.

*** معايير اختيار القائد:**

١. مخافة الله - عز وجل - والعمل على نصرته.. نصره دينه.
٢. أن يكون الأمير صاحب كفاءة كقائد من حيث توفر صفات القيادة وتوفر عنصر وكاريزما التأثير في من أمر عليهم من مجاهدين.
٣. أن يتمتع بحب وثقة إخوانه المجاهدين العاملين تحت أمره.
٤. أن يجيد فن التأثير على إخوانه المجاهدين؛ من أجل توجيههم نحو الهدف، هدف معين بطريقة تضمن طاعتهم وثقتهم واحترامهم وولائهم وتعاونهم بغية تحقيق ذلك الهدف.

وهنا نجد أن الأمير الحكيم هو من يحصل على الطاعة من قبل إخوانه المجاهدين عبر الأوامر المقترنة بالثقة والالتزام والولاء والتعاون، وهذا لا يتأتى للقائد الذي تنقصه الكفاءة والذي لا يحبه من معه من إخوة مجاهدين، ولقد أقرت المدرسة الإسلامية المعيار الأمثل لاختيار القائد، وهو الكفاءة والحب.

وهذا ما ينصح من تحليل قول عمر الفاروق رضي الله عنه وأبغض شأنه في الحديث المرفوع: " أيما رجل استعمل رجلاً على عشرة أنفس، علم أن في العشرة أفضل ممن استعمل، فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة المسلمين، وأيما رجل أم قوماً وهم له كارهون لم تجر صلواته أدنيه". لم تجر أي لم تتعد.

وهنا نرى بشكل جلي وواضح أن الحديث الشريف يضم الشرطين الأساسيين للقائد، وهما الكفاءة والحب.

* الكفاءة: الكفاءة في القسم الأول من الحديث النبوي الشريف هي أساس التفضيل عند الاختيار إلى درجة أن الانحراف عنها يعتبر غشاً لله ولرسوله ولجماعة المسلمين.

* الحب: الحب في القسم الثاني من الحديث النبوي الشريف تبلغ أهميته كشرط في اختيار الأمير القائد إلى حد سقوط الصلاة عن الإمام الذي يكرهه الناس.

وكذلك قال- عليه الصلاة والسلام-: " خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم (أي تدعون لهم ويدعون لكم) وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنوهم ويلعنونكم".

* معيار أمانة الاختيار

إن الإسلام يقرّ أن الأمانة بالاختيار هي الطريق المناسبة لوضع الرجل المناسب في المكان المناسب، والأمانة عصب الأمة في جميع شؤونها، والله تعالى يأمرنا فيقول: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانت إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ (سورة النساء، الآية ٥٨)

وأمانة الاختيار تعني استقامة الضمير ونقاء النفس وشجاعة الرأي، وخلوص القلب من الجبن والرياء والنفاق.. وتكون الأمانة أمانة الاختيار على أساس من العلم والمعرفة، وتعني أيضًا تنزه المجاهد عن اختيار أمير قائد غير كفؤ من أجل الحصول على المنفعة وقضاء الحاجة الشخصية والمصلحة، إن شأن الذي لا يختار بأمانة وبهدف المصلحة العامة، شأن من يستشار ولا يقول رأيه بصدق وإخلاص، واختيار من لا يصلح، شأنه من شأن من يشهد شهادة الزور والشهادة الكاذبة من مظالم اللسان التي يضيع بها الحق، وتخفى معالم الحق والعدل، ويحذر الله من القول الزور ويقرنه بعبادة الأوثان، فيقول: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان وأجتنبوا قول الزور﴾ (سورة الحج: ٣٠)

وشأن من يتجنّب إبداء الرأي في اختيار الأصلح (الأمير الأصلح) شأن من يكتم الشهادة، والله يحذر من كتمان الشهادة، فيقول: ﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٨٣).

فاحذر يا أخي المجاهد وإياك وكنتم الشهادة حتى لا يَأْثَمَ قلبك، وكن جسورًا في قول الحق، فأنت يا أخي مع الله ومن كان مع الله فإنه لا يبالي إلا بمرضاة الله.

وعن أبي موسى - رضي الله عنه - عن النبي القائد - صلى الله عليه وسلم - قال: " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثًا)؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإِشْرَاقُ بالله وعقوق الوالدين وجلس وكان متكئًا فقال: ألا وقول الزور . قال: فما زال يكررها حتى قلنا : لئنه سكت" **رواه البخاري ومسلم**، قال ابن حجر في قوله: "وجلس وكان متكئًا" ..يشعر بأنه اهتم بذلك حتى جلس بعد أن كان متكئًا، ويفيد ذلك تأكيد تحريم الزور وعظم قبحه، وسبب الاهتمام بذلك كون قول الزور أو شهادة الزور أسهل وقوعًا على الناس، والتهاون بها أكثر، فإن الإِشْرَاقَ يَنبُو عنه قلب المسلم، والعقوق يصرف عنه الطبع، وأما الزور فالحوامل عليه كثيرة، كالعداوة والحسد وغيرها، فاحتيج للاهتمام بتعظيمه وليس ذلك لعظمتها بالنسبة إلى ما ذكر معها من الإِشْرَاقَ قطعًا، بل لكون مفسدة الزور متعدية إلى غير الشاهد بخلاف الشرك فإن مفسدته قاصرة غالبًا..

فأمانة الاختيار تتطلب الموضوعية ونبذ جميع العواطف والتجرد من كل هوى، إلا من جلال الحق والصدق والعدل.. وهذا أيضًا أيها المجاهد القسامي ما يوجهنا إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ (سورة الأنعام، الآية ١٥٢). وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (سورة المائدة، الآية ٨).

وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " شاهد الزور لا تزول قدماه حتى تجب له النار" .. وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: أوصاني خليلي - صلى

الله عليه وسلّم_ بخصالٍ من الخير، أوصاني ألا أخاف في الله لومة لائم، وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مرًا".

وعن أبي ذر الغفاري أيضًا قال: " قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ (أي توليني عملاً عامًا) قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه منها".

وليكن لك أيها القسامي المجاهد في سبيل الله برسول الله_ صلى الله عليه وسلّم_ أسوة، وانظر ما أروع صور التجرد من الهوى وعدم المحاباة، فلقد حرص النبي_ صلى الله عليه وسلّم_ على أن يواجه آل بيته قبل غيرهم بمكاره الحرب، وأن يقاسموا المسلمين في شوائدها ومصاعبها وخاصة حين نادى المشركون: يا محمد، أخرج لنا الأكفاء من القوم. فقال رسول الله_ صلى الله عليه وسلّم_: " يا بني هاشم، قوموا قاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم، إذ جاؤوا بباطلهم ليطفئوا نور الله".

فقام حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث، وهذا يدل على أنه- عليه الصلاة والسلام- يقدم أقاربه ليكونوا رأس حربة في مواجهة كفار قريش.

وعلى الرغم من أن رسولنا الكريم قد قدم أهله ونفسه لخوض القتال في المعارك، إلا أنه قدم بلالاً- رضي الله عنه- واليا على المدينة، وفيها من فيها من الأنصار والمهاجرين، وولّى أسامة بن زيد وهو أحد الموالى قيادة جيش كان فيه أبو بكر وعمر وغيرهما من كبار الصحابة وبعث عبادة بن الصامت سفيراً للمسلمين إلى المقوقس، وكان عبادة أسود اللون حتى طلب المقوقس إبعاده عنه، إلا أن أعضاء وفد المسلمين قالوا له: " إننا لا نستطيع ذلك لأنه رئيسنا وأفضلنا عقلاً وأسدنا رأياً "

*** صفات القائد الأمير:**

هناك صفات معينة يلزم توافرها في القائد حتى يستطيع أداء مهمته بكفاءة ونجاح، وليتمكن من رفع معنويات أخوته المجاهدين، وينجح في قيادتهم نحو الهدف المحدد وفي تحقيقه على أكمل وجه:

إن أهم صفات القائد الأمير تتلخص في التالي:

- ١- أن يكون الأمير قائدا وكفؤا في عمله.
- ٢- أن يكون دؤوبا مواظبا على أداء مهامه الجهادية وعلى بذل الجهد المتواصل دون كلل أو ملل.
- ٣- أن يكون مستعدا على الدوام لاتخاذ القرارات الحاسمة الحازمة وتحمل مسؤولياته نحو تلك القرارات.
- ٤- أن تتوافر لديه القدرة والرغبة على التعلم والعلم.

٥- أن يكون من النوع المتماسك الثابت القادر على تمالك نفسه وخاصة في المواقف الحرجة وعند الغضب، وبعض المراجع العلمية تورد وصفا لصفات القائد وهي على النحو الاتي:

- قوة الشخصية- اليقظة- حسن المظهر- الشجاعة- الحسم- الثقة- قوة التحمل- الحماس- قوة التأثير- التواضع- الروح المرحة- المبادرة- النزاهة- الذكاء- الحكمة- العدل- الولاء- المشاركة- الوجدانية- اللباقة- إنكار الذات- إجادة التعبير- الخطابة.

وأنا أتفق مع القول الذي جاء به "أن القائد يجب أن يتحلى بصفات كثيرة مثل الإقدام والصبر والشجاعة، وأن من شأن تلك الصفات أن تمنح الجنود الثقة، ولكن الصفة التي يحتاج إليها القائد فوق كل شيء هي تلك الشجاعة الأدبية، وذلك الحزم ورباطة الجأش وإشاعة تلك الروح من القوة. ورباطة الجأش في رجاله عندما يكون هو في قرارة نفسه على غير ثقة تامة من عاقبة معركته".

محمد _صلى الله عليه وسلم_ المثل الكامل للقائد الكامل ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ إن كان ما ذكرته من صفات مثالية للقائد قد جاءت نتيجة لعلم ومعرفة ودراسة، إلا أن تلك الصفات لا يمكن بحال من الأحوال أن تجتمع في شخص واحد. إلا قائدنا ونبينا محمد _صلى الله عليه وسلم_ الذي جمع بين جنبه كل تلك الصفات وجمع فوقها صفات أكبر وأعظم، ولذلك اعلم أيها القسامي سواء أكنت قائدا أم عنصرا أم مجاهدا مقاوما، أن رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ هو قائد جيش الإسلام الأول. لذلك فهو المثل الكامل وهو القدوة المثلى، وهنا سوف أكرر قوله تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾

* كمال الأخلاق

إن قائدنا محمد _صلى الله عليه وسلم_ هو رسول الله إلى الناس، رسولا اصطفاه الله ليبلغ أعظم رسالة، وكان الله تعالى يريد كرامة رسوله فجعله تحت حراسته ورعايته وحفظه من أدناس الجاهلية، حتى كان أفضل قومه وأحسنهم خلقا، وأكرمهم حبا، وأرجحهم حلما، وأصدقهم قولا، وأبعدهم عن الفحش، ولقد عرف نبينا القائد بين أهل مكة في حادثة سنه بالصادق الأمين، لأنه استوفى من مكارم الأخلاق كل مكرمة لم ينلها إنسان قبله ولا بعده، وكل ذلك لأن الله تعالى تولاه حتى خاطبه بقوله: ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾ ولقد قال عليه السلام متحدثا عن نفسه: " أدبني ربي فأحسن تأديبي"

* كمال العقل وحسن السياسة

لقد كان الرسول _صلى الله عليه وسلم_ من كمال العقل والعلم في العناية القصوى التي لم يبلغها بشر سواه، وعلى الرغم من أنه لم يسبق له ممارسة ولا مطالعة كتب يتعلم منها أخبار الماضي، فقد تبين من التاريخ أنه أعقل العالمين. انظر إلى حسن تدبيره وسياسته للحرب في قيادة الذين كانوا أهل عزة وإباء وانطلاق، مع طباعهم المتنافرة والمتباعدة، وكيف احتمل جفاءهم

وصبر على أذاهم بكل حكمة وسياسة وبعد نظر، حتى تمكن من أن يجعلهم ينقادون إليه ويلتفون حوله، ويقاثلون في سبيل الله أهلهم وآباءهم وأبناءهم ثم اختاروه على أنفسهم وهاجروا معه، وتركوا أوطانهم وأحباؤهم نصرته لله ورسوله.

* التواضع واحترام النفس

لقد كان المعلم القائد سيدنا محمد _صلى الله عليه وسلم_ يعرف قدر نفسه جيدا ويحترمها، فكان بريئا من الرياء والتصنع، مستقل الرأي لا يدعي ما ليس فيه، ولم يكن - عليه الصلاة والسلام - متكبرا ولا ذليلا بل كان في ثوبه المرقع (الذي كان يرقعه بنفسه) يخاطب بقول الحق أكاسرة الفرس وقيصرة الروم. وكان لا يؤخر عمل اليوم لغده، وما عبث قط، وكان يكره أن يحيط نفسه بالمظاهر الكاذبة أو مظاهر السلطان والملك، فكان يقول لأصحابه: " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد الله ..فقولوا عبد الله ورسوله".

وخرج ذات مرة على جماعة من أصحابه متكئا على عصا، فقاموا له فقال: " لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا".

* الصبر وقوة الاحتمال

لقد كان النبي _صلى الله عليه وسلم_ المثل الأعلى بقوة التحمل والصبر، فقد أؤذي في الله وفي نفسه وأصحابه فلم يلحقه جزع، بل كان شجاعا حكيما وصبورا، فكم ناله من أذى المستهزئين وكيد المنافقين فما لج بالشكوى بل كان دأبه الصبر مع التفويض لله تعالى حتى جعل له من أمره فرجا.

وكان يقابل الأذى بالصبر الجميل ويعامل أعداءه بالمودة ويتألفهم بحسن المصانعة، فكان يقابل الحمق والخرف بالحلم، والتكبر والصلف بالوداعة والأناة. وحسبنا أن نلقي طرفا على تاريخ الدعوة الإسلامية لنعرف كيف كان النبي _صلى الله عليه وسلم_ مثلا في الثبات على المبدأ، وهي فضيلة كبيرة

في القائد. وهنا يا أخي المجاهد اعلم أن الصبر مفتاح الفرج، واحتمل واثبت على ما أنت فيه من جور من قبل الحكام الطغاة، ومن عذاب وتعذيب من قبل أجهزة أمن سلطة أوصلو، وكن مع الله مقتديا برسوله وقائد أمته محمد _صلى الله عليه وسلم_.

وانظر يا ابن القسام كيف لبث نبينا وقائدنا ثلاثة أعوام يدعو إلى الإسلام أقواما طغاة لا دين لهم إلا عبادة الأصنام، وحجتهم أنهم يتبعون ما وجدوا عليه آباءهم وأخيرا لم يسلم إلا ثلاثة عشر رجلا. فأى نجاح هذا؟ لا شك أنه غير مشجع ولكنه ظل ثابتاً على مبدئه مستمرا في دعوته بكل عزم وإرادة.

* الوفاء

والوفاء كذلك فضيلة إذا تحلى بها القائد كان قائدا عظيما، إذ بالوفاء يأسر القائد القلوب. قلوب رجاله، فكن يا أمير القسام وفيا تأسر قلوب أخوتك المجاهدين. فبوفائك معهم ترفع روحهم المعنوية، وتجعلها تصل إلى قمتها، وقد كان النبي _صلى الله عليه وسلم_ شديد الوفاء بالعهد والوعد، ويروى أن عبد الله بن أبي الحمساء طلب إلى النبي أن ينتظره في مكان ما حتى يأتيه بشيء، ثم نسي حتى ذكر ذلك بعد ثلاثة أيام، فجاء إلى الرسول فإذا في مكانه فقال: " يا فتى لقد شققت عليّ، أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك".

* الشجاعة والنجدة

كان الرسول _صلى الله عليه وسلم_ في ذلك المثل الذي لا يجارى والقذوة المنقطعة النظير. قال ابن عمر: " ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرمى من رسول الله _صلى الله عليه وسلم_"، وأي شجاعة أعظم من أنه قام لأمر الله وحده ومضى قدما يدعو أقواماً عندهم من مكارم الأخلاق ما كان مرتبوا بالعزة والأنفة ما يؤدي كثيرا إلى شن الغارات والحروب وإهراق الدماء، وقد برزت شجاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الحرب بصورة ليس لها مثيل في التاريخ. فقد قاد بنفسه ثماني وعشرين غزوة انضوت على كل صور

العمليات الحربية من دفاع وهجوم ومطاردة وحصار، وقيام القائد بتولي القيادة بنفسه شجاعة لا يمكن أن تتوارى أبداً.

فرسولنا الكريم وقائدنا المعلم كان على رأس كل تلك الغزوات، وكذلك أنت يا أمير القسام وأمير المجاهدين كن على رأس عملياتك الجهادية ضد الصهاينة، وكن رأس الحربة ومقبض الحربة، بل كن كل الحربة.. إن دعت الحاجة إلى ذلك. فأنت القائد والأمير والجندي المجاهد وأنت العين الساهرة وأنت السيف البتار والأب والأخ والصدیق. حاول يا أمير القسام أن تقتدي بقائدنا الرسول فهو أسوتنا ومنازة دربنا.

لم يكتفِ بالقيادة بل كان يشترك في القتال بنفسه، وخاصة في المواقف الصعبة والحرجة من المعارك. وفي ذلك يقول علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: " كنا إذا اشتد الخطب واحمرت الحلق، اتقينا برسول الله _صلى الله عليه وسلم_ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله وهو أقربنا إلى العدو".

وعن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال " والله كنا إذا حمي الوطيس نتقي برسول الله _صلى الله عليه وسلم_، وإن الشجاع الذي يحاذيه". أما في غزة حنين لما ولّى المسلمون طفق الرسول يركض ببغلة نحو الكفار. قال العباس: " وأنا آخذ بلجامها أكفها ألا تسرع"، وكان _صلى الله عليه وسلم_ يركض ببغلة إلى العدو وينوه باسمه فيقول: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب"، ولو لم يثبت الرسول مع عشرة فقط من أصحابه في تلك الغزوة لاستطاعت هوازن أن تبيد المسلمين..

وسجل الغزوات حافل بالمواقف التي يتصدع منها قلب أشجع الشجعان، ومع ذلك فقد ثبت الرسول _صلى الله عليه وسلم_ فيها غير مكترث، بما يحدق به من أخطار.

* حُسن العشرة

كان النبي _صلى الله عليه وسلم_ أوسع الناس صدرا وأصدقهم لهجةً وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة. وكان يخالط الناس وأصحابه ويحبب دعوة الحر والعبد والمسكين ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر ويبدأ من لقيه بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمصافحة ويدعوهم بأسمائهم ولا يقص على أحد حديثه، وكان أكثر الناس تبعاً وأطيبهم نفساً. عن أنس قال: "خدمت النبي فما قال لي شيء فعلته لم فعلته". وقد قال عليه الصلاة والسلام: "إنكم لا تسعون الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق". وقال أيضاً: "إن أحبكم إليّ وأقربكم مني منزلة يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً الموطنون أكنافاً" (أي غير المتعالين والذين لا يتسمون بالغلظة، الذين يألفون ويؤلفون).

* اللياقة البدنية

كان النبي القائد _صلى الله عليه وسلم_ يتمتع بلياقة بدنية قوية، فكان يصرع الرجل القوي، ويركب الفرس عارياً فيروضه على السير (يركب الفرس بلا سرج) ويقول أبو هريرة- رضي الله عنه-: " ما رأيت أحداً أسرع من رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ في مشيه، فكأنما الأرض تطوى له.. إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث."

* الثقة المتبادلة

كانت ثقة أصحاب الرسول _صلى الله عليه وسلم_ به عظيمة جداً، كما كانت ثقته بأصحابه عظيمة أيضاً، يكفي أن نذكر موقف المسلمين من صلح الحديبية، إذ لولا ثقتهم العظيمة به لرفضوا ذلك الصلح.

أما ثقته بأصحابه فيكفي للدلالة عليها أنه زج قواته في معركة بدر، فكانت قوات المشركين ثلاثة أمثال قواته كما زج بهم في معركة أحد بينما كانت قوات المشركين خمسة أضعاف قواته، ولا يمكن أن يقبل القائد الاشتباك في معركة

لا يعرف مصيرها ضد أعدائه المتفوقين على قواته تفوقا ساحقا، إلا إذا كان ذلك القائد يثق بقواته ثقة عظيمة جدا، وأضف إلى ذلك بأن يكون القائد على علم ببعض الخفايا التي لا يمكنه إطلاع جنوده المجاهدين عليها.

* المحبة المتبادلة

ظهرت محبة الرسول _صلى الله عليه وسلم_ ومحبة أصحابه له في كل غزوة، بل في كل موقف له في السلم والحرب. حسبنا أن نذكر موقف أصحابه منه في غزوة أحد لما أحرق به المشركون من كل جانب وصبوا عليه نبالهم، فأخذ المسلمون يصدون عنه النبال المصوية عليه بأجسادهم ولم يقتصر ذلك على الرجال، بل شمل النساء أيضا، فلقد أُلقت نسيبة بنت كعب المازنية ما بيدها من قربة سقاية ماء واستلت سيفا وأخذت تنود به عن رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ حتى خلصت الجراح إليها، فأصيبت يوم ذاك بثلاثة عشر جرحا، وأغمي عليها من كثرة ما فقدت من الدماء جراء نرف جراحها، فلما أفاقت لم تسأل عن زوجها الذي يقاتل مع رسول الله ولا عن ولدها الذي كان يقاتل مع رسول الله بل سألت أول ما سألت عن رسول الله الكريم قائلة: "وكيف حال الرسول؟".

أما حب الرسول _صلى الله عليه وسلم_ - لأصحابه فيكفي أن نذكر كيف نعى شهداء غزوة مؤتة وعيناه تذرغان الدمع، وكيف أنه رفض ما اقترحه عمر بن الخطاب حول قتل حاطب بن أبي بلتعة لأنه أرسل كتابا إلى قريش يخبرهم فيه بحركة المسلمين لفتح مكة، بل على العكس، أمر الرسول _صلى الله عليه وسلم_ أن يذكر المسلمون حاطبا بأحسن ما فيه. لقد كان يحب أصحابه حبا لا مثيل له، فإذا سلم عليهم لا يكون البادئ بسحب يده عن السلام وكان يلقي الناس بوجهه باسم متهلل حقا. وكان يمقت الغيبة وكان البادئ دائما أصحابه بالتحية.

* التوازن النفسي

سبق أن ذكرت لك أخي المجاهد ولك أيضا أنت أخي القائد الأمير القسامي، أن الحرب ومقاومة الصهاينة هي عبارة عن معاناة قاسية وشرسة تتطلب قدرا كبيرا من التوازن النفسي لكي تتمكن من السيطرة على أعصابك في المواقف الشديدة كالهزيمة لا سمح الله مثلا حتى لا تتعرض مغنوياتك لانهايار وتتضعض ثقتك بنفسك. والتوازن النفسي السليم لدى المجاهد يمكنه من السيطرة أيضا على أعصابه عند إحراز النصر على العدو حتى لا يغفل عن واجب الحذر مثلا، أو حتى لا يطغيه الفرح ويضرب به للخروج عن أدب الحرب وأخلاقياتها.

ولقد كان رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ قدوة عالية في التوازن النفسي، والناظر المتابع لسيرة المصطفى يلاحظ أن سيرته - عليه السلام - أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع والحقيقة في قدرته العظيمة على التحكم بأعصابه في أشد المواقف صعوبة وحرجا، سواء كانت تلك المواقف وقت السلم أم وقت الحرب، فلم يكن سهلا عليه السيطرة على أعصابه عند تطويق المشركين له ولبعض أصحابه. في غزوة أحد، استطاع أن يخلص المسلمين من فناء أكيد. ولم يكن سهلا السيطرة على الأعصاب يوم الخندق عندما علم بغدر اليهود ونقضهم العهد فأصبح الخطر يهدد قوات المسلمين من خارج المدينة أي من عشرة آلاف من جنود الأحزاب الكفرة. التي جمعهم قريش ومن والاهما من اليهود نقضة العهود والوعود، ومع ذلك سيطر على أعصابه فصد الأحزاب وقضى على اليهود - لعنة الله عليهم -.

أما في وقت الانتصار والرخاء، فأروع ما يذكر عن سيطرة الرسول القائد سيدنا محمد _صلى الله عليه وسلم_ من أمثلة ما كان يوم فتح مكة وحصوله على نصر ساحق على قريش التي ناصبته العداة أكثر من عشرين عاما. لكنه سيطر على أعصابه ولم يظهر منه أي موقف من مواقف العظمة

والجبروت التي أظهرها غيره من القادة عند انتصارهم، وكانت قوله المشهورة: " اذهبوا فأنتم الطلقاء ".

* بعد النظر

إن بعد النظر والتنبؤ يعتبران من أرقى درجات استعمال العقل ومن أسس النجاح في التخطيط الذي هو في مفهوم علم الإدارة (القدرة على التنبؤ بما سيكون عليه المستقبل مع الاستعداد لهذا المستقبل). وذلك لا يكون إلا عبر بُعد النظر من خلال الإعداد والاستعداد وجمع أكبر كم من المعلومات حتى يعلم القائد القسامي أين ستؤول مجريات الأمور.

والقائد الناجح هو الذي يفكر في كافة الاحتمالات القريبة والبعيدة، ويدخل أسوأ الاحتمالات في حسابه ويعيد الخطط لكل موقف محتمل حتى يمكن تطبيق تلك الخطط عند الحاجة دون تردد ولا ارتباك. وقد كان الرسول _صلى الله عليه وسلم_ يفكر في كل كبيرة وصغيرة ويعد لكل أمر عدته، ويتخذ كافة متطلبات الحذر والحيلة، لذلك لم يستطع أعداؤه مباغتته في أي موقف، واستطاع أن يباغت أعداءه في أكثر من غزوة.

* الشخصية المميزة للنبي القائد

أرسلت قريش عروة بن مسعود الثقفي لمفاوضة الرسول _صلى الله عليه وسلم_ في الحديبية، فعاد إلى قريش يقول: "يا معشر قريش، إني جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قومه قط مثل محمد، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه، وإنهم لن يسلموه لشيء أبداً".

هذا الوصف الرائع يصفه مشرك من أعداء الله الرسول الكريم _صلى الله عليه وسلم_، فما هي أسباب هذه الشخصية القوية النافذة التي كان يتحلى بها الرسول _صلى الله عليه وسلم_.

لقد كان الرسول _صلى الله عليه وسلم_ متواضعا حلوما رؤوفا رحيمًا، ومع ذلك لا يستطيع أحد أن يرفع صوته فوق صوت النبي، ولا يستطيع أحد أن يرد له أمرًا، أو يتردد في تنفيذ أمر يصدره النبي القائد - صلاة الله وسلامه عليه-.

وتقول كتب علم النفس الحديث " إن الذين يعملون على إفادة أكبر عدد ممكن من المجتمع الإنساني يعتبرون أرقى الشخصيات جميعًا، وهم في الغالب أقربها إلى درجات التكامل ". وتقول تلك الكتب أيضا " إن درجة تكامل الشخصية تتناسب طرذا مع اتساع دائرة المجتمع الذي يرمى الفرد إلى إسعاده، فأقلها كمالا أن يسعى صاحبها فقط لإسعاد ذاته، إذ لا بد أن تتعارض نزعاته الذاتية مع نزعاته الاجتماعية في تحقيق غايته الذاتية، ويلبها من يسعى صاحبها لإسعاد أقاربه وأسرته وأولاده، ثم إسعاد هؤلاء وأصدقائه، ويلبها من يعمل لإسعاد أهل بلده أجمعين وهكذا، إلى أن يصل إلى همه الأول والأخير وهو إسعاد المجتمع بأوسع معانيه، وهنا نصل إلى مرحلة ربما تبدو مجردة، كالبحت عن الحقيقة ومناصرة العدل وخدمة المجتمع". هذا نص ما تقوله كتب علم النفس الحديث. رأيت أيها المجاهد القسامي، يا من تسعى إلى الوصول إلى طريقك عبر بوصلة المقاومة. كيف أن تلك الكتب قررت استبعاد إمكانية أن يكون هناك إنسان همه الأول والأخير إسعاد البشرية، وكم هؤلاء العلماء أصحاب النظريات العلمية أصحاب نظرة قصيرة مجتزأة؟

إن الرسول _صلى الله عليه وسلم_ فعل ذلك بل فعل أكثر من ذلك ومن غير المستغرب لهؤلاء العلماء أن يستبعدوا إمكانية وجود إنسان مثالي كان همه إسعاد الناس بل إسعاد العالمين لأنهم يجهلون سيرة الرسول _صلى الله عليه وسلم_ الذي يقول: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"

فلا عجب أبداً أن تكون شخصية نبينا القائد شخصية فذة ذات نور وتميز يفوق الوصف والواقع.

* القدوة الحسنة

وانظر أيها المجاهد القسامي ماذا فعل قائدنا ونبينا محمد _صلى الله عليه وسلم_، فقد كانت الغنائم يوم حنين أربعة وعشرون ألف بعير وأربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية من الفضة، وستة آلاف نسمة من السبي، ولكن النبي _صلى الله عليه وسلم_ وزع الغنائم وأعاد السبي ولم يبق لنفسه شيئاً من تلك الغنائم بما تحويه من إبل وغنم وفضة، وكان - عليه السلام - يبيت الليلي المتتابعة خاوياً وأهله لا يجدون عشاء، وكان عامة خبزهم مصنوع من الشعير وليس الحنطة لأن الحنطة مرتفعة السعر. وفي يوم من الأيام، جاءت فاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وسلم إليه بكسرة خبز فقال: "ما هذه الكسرة يا فاطمة؟ قالت: قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى آتيتك بهذه الكسرة، فقال أما أنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام".

وقالت عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - "ما شبع آل محمد غداء من خبز الشعير ثلاث أيام متتابعات حتى لحق بالله". وقالت: "والله لقد كان يأتي على آل محمد _صلى الله عليه وسلم_ شهر لا نخبز فيه" وقالت أيضاً: "لقد مات رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ وما شبع من خبز وزيت في يوم مرتين".

ولأن نبينا هو قدوتنا الحسنة وهو قائدنا المعلم، فإنه لم يفكر قط بنفسه، كما لم يفكر قط بأهله، ولذلك فلم يكن - عليه الصلاة والسلام - يبقي عليهم في الترف الذي يشبع بني نوي السلطان، ولذلك فلتكن أيها المجاهد والقائد والأمير القسامي، قدوة حسنة في عمك الجهادي وفي علاقاتك الاجتماعية، واحذر كل الحذر من أن تكون متكبراً متعالياً، فلا قيادة لمتكبر ولا دراية لمتعالٍ.

واعلم يا أخي الأمير القسامي أنني ورغم كوني مهندس خلايا كتائب الشهيد عز الدين القسام في القدس والضفة، إلا أنني كنت أقوم بإزالة ما يتعلق بأحذية أخوتي المجاهدين من تراب وطين، بعد أن نكون قد عدنا من عملية عسكري أو واجب جهادي من ذلك النوع الذي يتطلب سير مسافات بين الوديان والجبال، فقد كانت عادتي ما إن نصل إلى قواعدنا سالمين، وما إن ينام المجاهدون من شدة ما لقوه من تعب وإرهاق، حتى كنت أجمع أحذيتهم وأقوم بتنظيفها مبتغيا من وراء ذلك رضا الله وحده، وراغبا في أن أكسر ما في نفسي من بقايا كبر وتكبر، فعندما كنا نعود من العمليات الجهادية منتصرين سالمين غانمين، كنت أخشى من الكبر والغرور أكثر مما أخشى ذلك العدو الصهيوني. كنت أعد لهم الطعام، وكنت أغسل لهم الثياب، ولكني ما كنت يوما أعتبر نفسي أعلى أو أكبر من أحد منهم، بل كنت أساعد الضعيف ويساعدني القوي، ولذلك فما كان أحد ممن لا يعلمون حقيقة موقعي في الكتائب القسامية، يستطيع أن يرى تمايزا بيني وبينهم وبين أخوتي المجاهدين. لذلك كن يا ابن القسام، الأب والأخ والصديق، سواء كنت أميرا قائدا أم متعاوننا مجاهدا، ولا تنس يا أخي ما قاله أبو الطيب المتنبى:

(وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا إذا لم يكن فوق الكرام كرام)

الفصل السابع

أشواك في درب المجاهدين

الفصل السابع

أشواك في درب المجاهدين

١ - إعلام الغرب الظالم

أشواك كثيرة هي تلك التي تحاول إعاقة المجاهد عن أداء واجبه الجهادي، فبين أنظمة حكم فاسدة وسلطة حكام مطلقة، يعطلون من خلالها فريضة الجهاد. تلك الفريضة التي نحن في فلسطين بأمس الحاجة لها من أجل أن نحرر المسجد الأقصى المبارك من دنس الصهاينة اليهود.

وبين الغرب الظالم الذي لم يترك وسيلة إلا وحاول من خلالها تشويه سمعة المجاهدين، نجد أننا واقعين بين المطرقة والسندان، مطرقة حكامنا الفاسدين، وسندان إعلام الغرب الظالم.

ولأن القوى الغربية والاستعمارية تنفرد في السيطرة والهيمنة على وسائل وطرائق الإعلام من شبكة عنكبوتية وإنترنت، إلى محطات تلفاز فضائية مروراً بالصحف والمجلات ومراكز أبحاث ودراسات إعلامية استقصائية تداهم مجتمعنا، فإنها تشوه جهادنا لتحرير أقصانا واصفة ما نقوم به من أعمال مقاومة في سبيل التحرير بأنها أعمال عنف وإرهاب، ولا يقف الإجحاف والتجني والظلم في وصف ما تقوم به في معركة التحرير والجهاد بأنه إرهاب فحسب. بل إنهم يربطون جهادنا بالدين الإسلامي الحنيف، محاولين إلصاق تهمة الإرهاب بهذا الدين العظيم، ساعين من وراء ذلك إلى التضييق علينا في فلسطين عبر منع أي عون أو تضامن من الدول والشعوب المسلمة مع الشعب الفلسطيني المقهور، الواقع تحت ظلم الاحتلال الصهيوني، وذلك إمعانا منهم في حربهم الشرسة ضد شعوب الأمة الإسلامية حتى تبرر عدوانها علينا، ونهبها لثرواتنا، ساعين إلى إسقاط روح المقاومة والجهاد لدى المسلمين حتى يسهل عليهم تدمير قواتنا المادية والمعنوية.

وإن تشويه سمعة المجاهدين الساعين إلى تحرير الأرض المقدسة والذين يجاهدون ضد قوات الاستعمار، بالصاق صفة الإرهاب بهم، وإضافة صفة الإسلام إلى تلك الصفة، إنما يكشف عن النوازع العنصرية لدى هذه القوى الغربية الاستعمارية الداعمة للصهيونية. فنجد أن اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية يتلاعب بالسياسة الأمريكية موجهًا إياها نحو خوض حروب بالوكالة ضد كل من يساند الشعب الفلسطيني في جهاده ضد الصهاينة. ولذلك يجب أن يكون معلومًا أولاً أمام العالم الإسلامي وشعوبه وحكوماته، أننا نحن مجاهدو فلسطين مستضعفين مقهورين، ولا يمكننا في واقع العصر الحديث المليء بالتقنيات العسكرية المتقدمة والمتاحة للقوى الصهيونية المستعمرة، إلا أن نواجه تلك القوى بأساليب حروب الشوارع (العصابات) بدلاً من تحديد أهدافنا العسكرية على أسس استراتيجية بغض النظر إن كانت مدنية أو عسكرية، ونهدف بذلك إلى ترويع الصهيوني المعتصب لأرضنا لكي يفرغ ويترك أرضنا المحتلة. ولذلك فإن استدامة ذلك النوع من عمليات حرب الشوارع (العصابات) يؤدي إلى استنفار قوات العدو وأجهزته الأمنية، مسبباً لها أعباء باهظة التكاليف والتأثير، سواء على نفسية الجنود أو المواطنين، مما يؤدي إلى هزيمتهم نفسياً قبل أن يؤدي بإذن الله إلى هزيمتهم عسكرياً.

فالصهاينة هم من ذلك النوع الجبان الذي لا يجرؤ على المواجهة المباشرة، ويسعى دائماً لتجنب القتال المباشر فلقد خضت ضده العديد من جولات المواجهة التي كان العدو الصهيوني يحرق الأخضر واليابس قبل أن يقتحم موقعا من مواقع المقاومة، أي أنه كان يصب قوات نيرانه الهائلة والمجنونة من الجو عبر الطائرات، ومن الأرض من خلال الدبابات وسلاح المدفعية، وبعد ذلك يسمح لمدرعاته بأن تبدأ بتمشيط الموقع المستهدف، ومن خلال نيران رشاشاتها.

٢ - الحكام والعلمانيين

من المسلم به أن الغلبة في هذه الدنيا لمن هو أعلم بسنن الحياة والأصلح لعمارتها، وذلك انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾. (سورة الأنبياء: ١٠٥).

وبما أن من المسلم به أن الصالحين هم أتباع كتاب الله والسائرون على نهج سنة القائد المعلم محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نعتبر حكامنا العلمانيين هم الأنسب والأصلح لقيادة الأمة، فالحكام العلمانيون أبناء هذا الزمان هم بادئ ذي بدء، حكام تابعون منساقون للغرب فكريا وعقيدة، وهم تبع للحكومات الغربية، وهم أيضا الامتداد الطبيعي من حيث نموذج الحكم الذي يمثلونه لأسلافهم الطغاة الظالمين، الذين ازدحم بهم التاريخ الممتد منذ قرون طويلة.

ولذلك، فإن من أعظم الأشواك وأكثرها شراسة مع المجاهدين هي أشواك المتغطين بعبادة الدين، والدين منهم براء. فلقد حولوا عبادات شعوبهم إلى عبادات دروشة ودرأويش، مبعدين أبناء الإسلام عن الإسلام بواسطة شيوخ دين وأشباه دعاة، فنحن نرى بشكل واضح كيف يُحاط رأس الحكم العلماني في الضفة الغربية بمجموعة من مدعي الدين والتدين، فنرى وزير الأوقاف والشؤون الدينية يحرم ويحلل ويبيح ويستبيح وينهج على المقاومة ومجاهديها ورجالها واصفا جهادنا ومقاومتنا بأنها إرهاب، مباركا ما تقوم به أجهزة أوسلو من قتل وتفتيل في حق المجاهدين من أبناء كتائب عز الدين القسام.

٣ - الرضا بحياة الذل والهوان (للعلامة يوسف القرضاوي)

إن فقدان روح الجهاد ونية الجهاد في الأمة، وشيوع روح الميوعة والطرارة بين أبنائها وشبابها، وانتشار أخلاق الفردية والأنانية وحب الدنيا وحب الذات، وانكباب كل شخص على مصالحه وشؤونه الخاصة، وإهمال شأن

الأمة، هذا كله يجسد خطراً على الأمة، خطراً على أفرادها، وخطراً على مجموعها، حيث تتناقل إلى الأرض ويغلب عليها الجبن والخور، والركون إلى الدنيا وكراهية الموت والحرص على الحياة، والرضا بحياة الذل والهوان.

وهذا كله عائد بسبب ترك الجهاد في سبيل الله، والقعود عن أداء تلك الفريضة، التقاعس بين القادرين عليها من الجماعة القادرة على رفع الظلم الواقع على أمة محمد، وهو القادر على إعادة الثقة بالنفس والشعور بالعزة والكرامة والأنفة. وكم هو طيب وجميل ذلك الشعور الذي يملأ النفس عندما يمتشق المجاهد سلاحه مخلصاً النية لربه، فيسير على درب الجهاد، درب المجاهدين، ذلك الدرب وعلى الرغم مما به من مشقة جسدية، إلا أن حالة الرضا عن النفس تجعل من تعب الجسد شيئاً لا يذكر.

فكم أناس أثرياء أغنياء منعمون مترفون، لكن أرواحهم ضائقة ونفوسهم ضالة، لا يشعرون أن هناك متعة في الحياة، فالفكرة الأساسية في الجهاد أن تبقى الأمة قوية مرهوبة الجانب، بما تملكه من قوة عسكرية مادية ملائمة لعصرها، وقوة بشرية من المجاهدين مدربة رادعة، قادرة على رد العدوان، وتأديب المعتدين، وإنقاذ المستضعفين في الأرض، وتحرير ما احتل منها.

فالجهاد من أجل تحرير فلسطين هو جهاد من أجل إزالة الاحتلال الصهيوني وما خلفه في نفوس أبناء أمة الرسول القائد محمد صلى الله عليه وسلم من شعور بالذل والهوان، فاعذروا أنفسكم بالجهاد، واطلبوا من الله الاستشهاد.

٤- الطابور الخامس

إن ذلك الطابور ذا الرائحة العفنة النتنة، المسمى بالطابور الخامس هو شوك لنبات شيطاني يسقى بماء العملاء المأجورين والجواسيس المندسين في صفوف الأمة، وهو أيضاً يسقى بماء من يخدمون العدو بالمجان لهوى في أنفسهم، أو مرض في قلوبهم أو نفاق في صدورهم، أو مصلحة خاصة أو

لعداوة يحملونها بجنوبهم للمسلمين، وخير مثال على ذلك أجهزة أمن سلطة أوصلو التي تمارس دورها المجرم في محاربة المجاهدين.

ولقد هدد القرآن الكريم هؤلاء أبلغ تهديد حين قال: ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً﴾ (٦٠) ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً ﴿ (سورة الأحزاب: ٦٠-٦١).

نعم ورب الكعبة، إنهم ملعونون في الأرض وفي السماء، فهؤلاء هم دعاة الهزيمة، ولذلك يجب علينا تطهير فلسطين المحتلة منهم ومن المخذولين والمرجفين الذين يشيعون مشاعر اليأس والإحباط والروح الانهزامية في أبناء فلسطين، فهم يبثون أذكاءً تحطم المعنويات وتزلزل الأنفس الضعيفة، ساعين من وراء ذلك إلى إثارة البلبلّة والاضطراب في صفوف من يسعون إلى حمل السلاح ومقاومة الاحتلال الصهيوني، وهم والله لأشدّ خطورة على المجاهدين من عدونا، ذلك المحتل اللعين، وينطبق في هؤلاء المرجفين المخذولين قوله تعالى: ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظلمين﴾ (سورة التوبة، الآية ٤٧).

ولذلك احذر أيها المجاهد من الطابور الخامس، ولا تستمع إلى أقوال المرجفين الفاسقين، وكن مع الله ولا تبالي، فمن كان مع الله لا يضيع رجاؤه. وعلى الرغم من عفونة ونتاجة رائحة هؤلاء المرجفين الفاسقين إلا أنهم يزدادون وقاحة وصلفاً، فنجد أحد رؤوس الفتنة في فلسطين وهو إمام وشيخ رأس هرم سلطة أوصلو، يدعو بكل ما أوتي من قوة للتطبيع مع العدو الصهيوني، الذي احتل قدسنا وأقصانا، وقتل شيخنا وطفلنا، فنجدّه يدعو بكل ما للوقاحة من معنى، إلى السفر إلى زيارة المسجد الأقصى المبارك، ذلك المسجد الذي يقع تحت برائن الاحتلال الصهيوني اليهودي.

لكن الأخطر من هذا كله هو تقصير بني جلدتنا، بل وأمتنا جميعاً في وجوب استرداد فلسطين عامّةً والمسجد الأقصى خاصةً، فهذا هو الأصلُ الأصيلُ،

وهو الغاية المنشودة، علينا جميعاً أن نؤد صفوفنا، وأن نصفي عقيدتنا من كل الشوائب ثم نربي أبناءنا على هذه العقيدة، فهذا كله ثمّ الجهاد في سبيل الله، نسترجع أقصانا الحبيب من برائن اليهود الغاصبين قاتلهم الله. ولذلك فليس لنا يا ابن القسام، سوى أن نجاهد أعداءنا لنزود عن ديننا وأنفسنا وأعراضنا وأموالنا، ولكي نردع المستهينين بنا والمتسلطين علينا، الساعين لإبقائنا تحت الاحتلال الصهيوني، وإبقاء مقدساتنا من قدس وأقصى تدنس من قبل اليهود الظالمين، فلا يفل الحديد إلا الحديد، ولا يصد السيل الجارف إلا الجبال الثابتة.

* أشواك المنافقين

إياك ثم إياك، أن تسهوا أو تغفل أيها المجاهد القسامي، عن داء وبلاء المنافقين، فهم داء كل أمة وبلاء كل جماعة أو فئة مجاهدة، وسوسة كل مبدأ، وهادمو كل بناء شيدته الأمة المسلمة لإقامة حضارتها والدأب نحو رقيها، فالمنافقون قائمون دائماً على تشييط العاملين، وتوهين المجدين وتخذيّل المجاهدين وإثارة الشائعات الضارة عن المجاهدين المؤمنين، وزرع الشكوك في نفوس المخلصين. فاحذر ظاهرهم فهو مسالم، أما باطنهم فهو خبيث محارب وألسنتهم بالفتن ناطقة وكلماتهم في الإفساد جامحة، إذا رأيتهم في تظاهرهم بالدين أعجبتك أجسامهم وإن يخطبوا أو يكتبوا أو يصعدوا إلى منبر محطات التلفزة الفضائية، فإنك تجد السم الزؤام مخبأ في معسول الكلام. وإن أصابت المؤمنين الصادقين مصيبة فرحوا بها، وإن نزلت بالمخلصين ضائقة تآمروا على إحكامها وتشديدها، وإن منحهم الله نعمة ورحمة تهافتوا على طلبها وامتيازها. يثبطون المجاهدين عن حرب الصهاينة الكافرين المعتدين، ويلوون أعناق الأدلة الشرعية ليثبتوا أنهم على الحق المبين، ويفترون على الدين ما ليس منه لإقناع الجهلاء المحرومين.

فاحذرهم يا ابن القسام والإسلام، فهم يتصلون بأعداء فلسطين والمسلمين، ويبرمون معهم اتفاقات الغدر والخيانة والتسليم، ويشعلون نار الفتنة كلما خبت، ويلقمونها حطب الكيد والتدمير والهلاك، ويحرصون على الفتك بكل مقاوم شجاع، وعالم فقيه، وفارس مغوار، وصاحب صوت، وقلم حرايبي.

فضحهم الله تعالى في كتابه وكشف سرهم ودورهم، وحذر المسلمين من الوقوع في حبالهم وفتنهم وبين أنهم يحلفون بالله كذبا كي يبرروا جرائمهم وفضائحهم، ويقسمون أغلظ الأيمان لكي يرضوا النبي _صلى الله عليه وسلم_ والمسلمين، ولا يهمهم غضب الله تعالى وسخطه عليهم، فهم المنافقون ولعنة الله على المنافقين، ولاؤهم للشيطان ومكائدهم ضد المسلمين لا تنتهي، وضد المجاهدين لا تنضب، ولو كان أحدهم في آخر لحظة من عمره.

لذلك فقد جعل الله تعالى عذابهم أشد من عذاب الكافرين، لأن ضررهم أشد ووقيعتهم أنكل وأكثر ألما. وقال تعالى: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ (سورة النساء: ١٤٥).

وسوف تجدهم أيها المجاهد في كل مكان وزمان، وفي كل مشكلة ومعضلة، وهم أيضا يحيطون بالزعماء والقادة، فاحذرهم وكن يقظا، وقرأ عنهم في سور القرآن الكريم، وتحديداً في سورتي البقرة وآل عمران والمائدة والنساء والتوبة والأحزاب والمنافقين، وسوف تعرف يا ابن القسام والإسلام عنهم الكثير الكثير، الذي يشعرك بأنهم سوء أينما وجدوا، وأن في المؤمنين من يأخذ بأقوالهم ويخضع لتأثيرهم، فاحذر يا ابن القسام.. احذر.

الفصل الثامن

الإسلام بوصلة تحرير القدس

الفصل الثامن

الإسلام بوصلة تحرير القدس

الباب الأول: معركة دين ودنيا

إن بوصلة الإسلام تشير وبشكل واضح قاطع إلى أن قضية تحرير مدينة القدس والمسجد الأقصى هي قضية دينية في أصلها وفي جميع ما يتصل بها. ولذلك نجد الصهاينة ومن والاهم من حكامنا يبعدون الدين عن قضية تحرير القدس ويبعدون القدس عن الدين نافرين أن تكون هناك علاقة بين دين الإسلام وبين تحرير فلسطين بقدسها وأقصاها.. لقد سعى هؤلاء إلى انتزاع القضية الفلسطينية انتزاعاً من أحضان الإسلام لترمي رمياً في الشارع العربي الغائب المغيب ليلتقطها ويتبناها أناس يريدون أن يبنوا لأنفسهم مجداً على حسابها ولا يهمهم من أمرها سوى أنفسهم، ولذلك فلسطين تقاذفت أمواج بحر المنتفعين من القضية الفلسطينية بين الشرق والغرب، وبين اليمين واليسار، وبين من يلعن جميع أديان الله وكتبه ومن فيه بقية من دين، ولكن تبنت القضية الفلسطينية في فترة من الفترات كل الزعامات، ورفعت لأجلها جميع الشعارات وتسربت إليها جميع الميكروبات العالمية ودارت من أجلها رؤوس الشياطين، فحمل الصليبي صليبا من أجلها، وزحف الشيوعي بأفكاره المدمرة لاحتوائها، وأقبل الملحدون العالميون يريدون صيدها والتلهي بها وشمخ المقلدون من عرب وأعراب بأنوفهم يدعون أنهم أهل لها وأولى بها.

ولأن القدس إسلامية عربية فلسطينية، سعى الصهاينة الطغاة ومن والاهم من حكام بغاة، لأن يمزقوا شعب فلسطين شعب الحضارة العريقة، ذلك الشعب الذي يحمل في تاريخه جميع المعارك التي دارت في منطقة موطن الديانات ومآل الرسالات وميدان المعارك بين الحق والباطل على مدى ألوف السنين. فأصبح الشعب الفلسطيني ممزقا إلى أشلاء متناثره في كل الأودية، أو على

قمة جبل من الجبال، أو في مخيم لجوء، تلك المخيمات التي أشبه ما تكون بقبور لأسياد، فشتت الفلسطينيين في بلاد الله ليعيش في غربة واغتراب، فتفرق الولد عن أبيه، والبنت عن أمها، وفرق بين الزوج والزوجة بلا رحمة أو شفقة. فنحن يا ابن القسام والإسلام أصبحنا شعباً بلا هوية، شعباً لا يجد لنفسه حياة مستقرة كغيره من الشعوب. فما عدنا من البشر نشم رائحة العزة والحرية، فأصبحت جميع متطلباتنا أماني، وأصبحت شعارات المتاجرين بقضيتنا والمستغلين لبؤسنا تملأ كل مكان، ولكنها لا تملأ قلوبنا بقرب الفرج والأمل والاستقرار.

فنحن شعب فلسطين شعب توجه له التهم وتكال له الإهانات، شعب ألقيت على رأسه أطنان من المثالب والمعائب، وأصابه من شظايا الافتراءات أكثر مما أصابه من شظايا القنابل والمدافع. ولقد تمسح بنا الوصوليون والانتهازيون ليصلوا على أكتافنا وعلى جثث شهدائنا إلى مشاربهم، ولقد تبرأ منا الجبناء المرجفون بعد أن أغرقونا وأحرقونا وشتتونا بسبب تهورهم وحمقهم وجبنهم.

وانظر يا بن القسام كيف أن كل زعيم يريد من أبناء شعبك الفلسطيني، أن يكونوا عوناً له مشروطاً عليهم الخضوع لأوامره، والإيمان بأفكاره وكل حاكم يضربهم بالوعد والآمال لقاء أن يكون الفلسطيني أداة ضعيفة في يده يفعل بها ما شاء، وكل صاحب مال يمد يده بالمال القليل التافه مقابل أن يساعده الشباب الفلسطيني النابه الذكي الشريف في إغناء ماله وزيادة ثرائه، وكل صاحب غاية بشعة يحاول استغلال الفلسطيني ساتراً بشاعته تحت شعارات الحرية والتحرير. ليبقى الفلسطيني ضحية لتلك الشعارات وليبقى تائها لا يرحمه من يمزقه. يسكت عنه الطغاة طلاب السلطة وأصحاب السطوة. فنحن شعب حمل بشجاعة وبطولة وإخلاص من الآلام والجراح ما لم يحمله شعب في المنطقة، وحمل من الوعد الكاذبة والآمال الخادعة والشعارات المزيفة ما

لم يحمله أحد غيرنا من الشعوب. فمنذ يوم التشتيت لم نرَ إلا بؤساً وشقاءً ومعارك طاحنة، فأصبحنا الشعب الوحيد في هذا العالم الظالم الذي جعلته الشراذم الضالة المتهاكلة بيئة لتجاربها ومناخا لإظهار صولتها وسطوتها.

فالصهاينة اليهود يسعون بكل ما أوتوا من قوة لقهـر أمة الإسلام ولإذلال العرب والقضاء عليهم، ولقد أقاموا ما يسمى بإسرائيل باسم الدين فاحتلوا الأرض، واغتصبوا العرض، ونهبوا المال، وأذلوا كبرياء الأعراف الكرام. فإسرائيل هذه شنت وعربدت في المنطقة العربية بصورة مزرية، فأين الحمية وأين العزة والكرامة؟ وأين الشعارات والخطب لتلك الزعامات المتسلطة ذات العقول المتحجرة، والقلوب القاسية، والنفوس الدنيئة الذليلة المستسلمة. أما زالت زعامات أمتنا محتارين بين آلهة الشرق وآلهة الغرب حيرة التائه الخائب في الداخل والخارج، فلا هم أحياء من الداخل أقوى شعب وأعز أمة، ولا هم من الخارج كتبوا للشعب مجدا وبطولة وكرامة. فموقفهم كالذي حار واحتار في لقمة العيش لشعبه بعد أن سرقها ونهبها من فمه وأطعمها لعدوه، والذي سفك الدماء وحبس واعتقل وعلق المشانق لكل من طالب بحرية الأمة وعزتها، وطالب بالعودة إلى الدين لكي تنظم باسم الله أنفسها، ويعيد ترتيب صفوفها وتتعاون وتتحاب فيما بينها، وتندفع متحدة باسم الله لكي ترغم عدوها على احترامها. ولتحرير قدسها وأقصاها وتلقن الصهاينة الدرس الذي لن ينسوه مهما امتد بهم الدهر. فالويل كل الويل لزعماء أمتنا الذين أجمعوا على إبعاد الدين الإسلامي عن المعركة واستلهموا القوة من جميع شياطين الأرض، ومدوا أيديهم إلى كل زبالة البشر، وحاولوا بكل ما أوتوا من قوة أن يصموا آذانهم عن كل نداء يدعونا إلى الله وإلى الجهاد والاستشهاد، إلى المقاومة والتحرير.

فأعداء الله يريدون أن يديروا حياتنا ويصمموا حسب أهوائهم وأهواء الشيطان، لكي تتراخي عضلاتنا عن الحق وتشتد في الباطل والعبث والكفر

والضلالة، فحولوا عقل شعوبنا إلى عقليات مفككة وملوؤها بأفكار مضللة. فاستعانوا بأعداء الإسلام على رجالات الجهاد والمقاومة، رجال كتائب القسام، فترى رجالات أمن أوصلو يحيطون كل مؤمن حركي قسامي أبي بأسوار من نار وحديد ملقين بهم في المعتقلات والمآسر. ملقين بهم في القبور تماما كما فعل وما زال يفعل الصهاينة المحتلين، ونرى كيف سلم رجالات أوصلو القرآن الكريم للمنحرفين يقولون عليه كما يشاؤون، وكيف جعلوا السنة الباطل تمضغ الإسلام وتلقي به في وجه المؤمنين الساميين تحديا لهم وازدراء لسنة نبيهم. لقد ذبحنا أزلام أوصلو على مزاج الصهاينة والصليبيين، والانحلاليين وجميع أعداء الإسلام والدين لنعلن انسلاخنا عن ديننا الإسلامي وكفرنا به.. أعاذنا الله.

فهل بعد ذلك كله سوف تسمح لهم يا ابن القسام والإسلام، أن يدخلوا القضية الفلسطينية في نفس المداخل التي شربنا منها الذل والهوان والضياع والدمار وبؤس الشعوب وشقاءها؟ أم هناك اعتبار بالماضي من أجل مستقبل جديد؟ مستقبل الإخوان المسلمين وحماس حُماة الدين والقسام الحر الميامين، مستقبل يبني على مبادئ الإسلام وفضائل الإسلام وحرية الإسلام، وكرامة الإسلام. فبوصلتنا لتحرير فلسطين هي عودتنا إلى تعاليم الإسلام، وإحياء فريضة الجهاد. فعلينا أن نرفع كلمة الله، تلك الكلمة التي سوف تظل هي العصية إلى يوم الدين يوم القيامة. وعلينا كأمة مسلمة وكتائب قسامية أن نمزق جميع الرايات العفنة الغربية، وأن نسقط كل الشعارات المستسلمة الذليلة، فنحن لن نرضى بغير الله ربا ومعبودا وحاكما ومشرعاً، فالقرآن الكريم دستورنا، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبينا وقائدنا ومربينا، فلا مكان للصهاينة وأذئابهم وكلاب المنابر هنا في فلسطين، فالإسلام قادم والنصر قادم.

ولقد بدأت أعمدة الكفر بالسقوط واحدة تلو الأخرى، سقط زين العابدين طاغوت تونس، وسقط معمر القذافي مجرم ليبيا، وسقط حتى مبارك، كلب الغرب وحارس الصهاينة الأمين، وسقط غيرهم من حكامنا الطغاة. أما إسلامنا وجماعة الإخوان المسلمين فقد بدأوا المسير نحو القدس والأقصى، من خلال وصولهم للحكم، ذلك الحكم الذي وصلنا إليه عبر صناديق الاقتراع من خلال انتخابات حرة ونزيهة، رأى خلالها القاضي والداني قوة عقيدتنا وتمسكنا بمبادئنا. ولذلك سوف يظل الإسلام شامخا يعلن عن سيادته وعزته وإبائه وتعاليمه، وسيظل حملة راية الإسلام طاهرين كماء المزن، مستعينين بالنور كأنهم النجم الهادي في الليل الحالك الظالم، وسيبقى أهل جماعة الإخوان المسلمين أتقياء فضلاء كأنهم ملائكة تمشي على الأرض، فهم مع الله وبأمر الله يسعون في الأرض لهداية البشرية وإزاحة الظلم عن المظلومين.

فنحن الآن نحيا حياة الإشراق الروحي في وجداننا، وحياة الطهارة والنقاء والنظافة في مجتمعنا، ونحيا حياة النمو والرفعة بأفكارنا وسيادتنا ومعتقداتنا، فالعدل والمساواة والإخاء مبادئ لن نحيد عنها بإذن الله، هتافنا هو لا إله إلا الله والله أكبر، ومحمد رسول الله قائدنا ومعلمنا في كل خطوة من خطواتنا.

وستبقى بوصلة المقاومة بوصلة إسلامية، تسعى إلى تحرير الأرض المقدسة من دنس المحتل الصهيوني الغاصب، ومن دنس من والاهم من أزلام أوصلو، أزلام الظلم والطغيان، الرمم البالية والنفوس المتوحشة المتزعمة، حتى يريح الله منكم فتذهبون إلى مزابل التاريخ ولا تعودون منها، أيها اللصوص التافهون الساقطون، متى تعيشون أحرارا ولا تكونون نعالا في أرجل أعداء الله وأعداء المسلمين؟

الباب الثاني: الغاية في بوصلة المقاومة لا تبرر الوسيلة

ما دام الإسلام هو بوصلتنا فإن من المؤكد أن مبدأ ميكافيلي هو نقيض لنا، فهو جرثومة أدت إلى فساد الاتجاهات والتنظيمات غير الإسلامية، تلك التنظيمات التي تعتمد على مبدأ المصلحة التي لا تتعدى في كثير من الأحيان حدود المبادئ والنظريات التي تنادي بها وترفعها، فتلك الاتجاهات والتنظيمات تقلب مصلحة الشعب محولة إياها لتصبح مصلحة الحزب، وما تلبث أن تحولها لتصبح مصلحة شخصية لزعماء تلك الاتجاهات والحركات.

أما قضية الأمة وقضية تحرير فلسطين فتصبح أوراقاً رابحة في سوق المتاجرة والاستهلاك والمساومة، لا اتجاهًا واضحًا لهم، فتجد أن من كان عدواً لهم بالأمس أصبح اليوم صديقاً حميماً، وأصدقاء اليوم أعداء الغد، وهكذا فإن عقائدية هذه الاتجاهات الميكافيلية سوف تزول لا محالة، مخلفة وراءها شعارات كاذبة مزيفة ستكشف عاجلاً أم آجلاً. أما الحركة الإسلامية فهي حركة لا تفرق بين الغاية والوسيلة من حيث وجوب شرعيتها الإسلامية وعقائديتها وأخلاقيتها، وأبناء الحركة الإسلامية والمنتسبون إليها لا يعملون لذواتهم أو وفق ما تمليه ذواتهم، فهم مقيدون وملتزمون بحدود العقيدة الإسلامية وأخلاقها، ليس لهم أن يحدوا عنها أو يغيروا منها. ولذلك فإن العامل للحق لا يجوز أن يتوسل بالباطل لبلوغ غاياته وأهدافه، ولو كان هذا الباطل مجرد كلمة أو شعار.

﴿وقل الحق من ربحكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (سورة الكهف، الآية ٢٩).

والمسلم صاحب البوصله هو من يعلم أن الحق كل لا يتجزأ، والتنازل عن جزء من الحق يعد تنازلاً عن الحق كله. فليس بعد الحق إلا الباطل وليس بعد الهدى إلا الضلال.

وابن القسام يدرك أن الحق ينبغي أن يعمل له بقوة، ويضحى في سبيله بكل شيء دون أن يساوم عليه بسبب من ترغيب أو ترهيب. ولذلك فإن أصحاب

الحق يجب أن يكونوا واعين حذرين معتصمين بحبل الله، مهتدين بهداه، فلا تستدرجهم مواقف أو تفرض عليهم حلول غير مناسبة مع منطلقاتهم العقدية والأخلاقية. ولذلك فإن الحق هو ما يمليه الشرع والدين لا أصحاب نظرية الغاية تبرر الوسيلة.

فنحن أصحاب عقيدة ربانية تستمد صورتها وأحكامها وأخلاقها وتقاليدها وأفكارها من دين الله الخالد ورسالته الخاتمة، وتستمد من الإسلام قوة أساسية لنهضة المسلمين وعلو المجاهدين، وإنقاذ العاملين وتحرير المستضعفين والظالمين حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

فلا قيمة لنا إلا بالإسلام، وإن الكرامة الحقيقية والعزة الحقيقية لا يمكن أن تتحقق إلا بالمشاركة في مسيرة الإسلام، وإن من احتذى المسيرة بحق فقد اتصل بأشرف نسب، وارتبط بقافلة الهداية، قافلة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والشهداء وحسن أولئك رفيقا، وأن العاملين للإسلام والمجاهدين في سبيل الله يدركون أن البقاء مع المسيرة شرط للثبات والانتصار " وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية" ولذلك يجب على القسامي المجاهد ألا يسمح بأن تعطل حاكمية الله في الأرض، وأن يهيمن أصحاب النظم والتشريعات الوضعية على المجتمعات البشرية، لذلك يفرض على المسلمين العمل لإقامة المجتمع الإسلامي، واستئناف الحياة الإسلامية.

الباب الثالث: آيات الجهاد والقتال..

لقد تطرقت للآيات القرآنية الكريمة في الفصول السابقة مستشهدا بها لكي أبين أهمية الجهاد وعظمة القتال في سبيل الله تعالى. أما في هذا الباب من الفصل الثامن فإن تطرقي للآيات القرآنية الكريمة يأتي من أجل أن أوضح بما لا يدع مجالا للشك أن القرآن وجه البوصللة نحو الجهاد والمقاومة، وأوضح للمسلم المؤمن كيفية التعامل مع أعداء الله.. أعداء الإسلام والمعتدين عليه

وعلى أهله، فيدرك المسلم الصادق أن للأمر خطورته وأهميته الكبيرة التي لا يجوز إهمالها أو السكوت عنها، ولتكن البداية من قوله تعالى:

﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ (سورة البقرة، الآية ٢١٦).

فسر ابن كثير هذه الآية الكريمة بشكل واضح وجلي فقال: "هذا إيجاب من الله للجهاد على المسلمين من أجل أن يكفوا شر الأعداء عن الإسلام". وقال الزهري مفسراً: الجهاد واجب، على كل أحد غزا أو قعد، فالقاعد عليه إذا استعين (طلبت إعانتة ومساعدته) أن يعين وإذا استغيث أن يغيث وإذا استنفر أن ينفر وإن لم يحتج إليه قعد. ولقد ثبت في الصحيح: "من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو، مات ميتة جاهلية".

وقال قائدنا ونبينا محمد _صلى الله عليه وسلم_: "لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا" (رواه مسلم)

وقال تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ (١٩٠) واقتلوهم حيث ثققتموهم وأخرجوهم﴾ (سورة البقرة، الآية ١٩٠).

ويرى ابن كثير أن هذه الآية الكريمة إنما هي إغراء بالأعداء الذين همهم قتال الإسلام وأهله. أي كما يقاتلونكم فاقتلوهم أنتم كما قال تعالى: ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ ولهذا قال في الآية التي تلتها: ﴿واقتلوهم حيث ثققتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾.

أي لتكن همتمكم منبعثة على قتالهم كما همتهم منبعثة على قتالكم وعلى إخراجكم من البلاد التي أخرجوكم منها، ولذلك فإن معنى الآيتين الكريمتين يأتي على النحو الآتي:

وقاتلوا في سبيل الله القوم الذين من شأنهم أن يقاتلوكم إن قدروا على قتالكم ولا تعتدوا في القتال بأن تقتلوا من لا يقاتل ولا يساعد على القتال، مثل الوليد والمرأة والشيخ والراهب ونحوهم، فإن من فعل ذلك لا يحبه الله، فانبعثوا

ضد أعدائكم الذين أخرجوكم من دياركم وحاربوكم في أي مكان وجودكم فيه، فافعلوا معهم مثل ما يفعلون بكم بأن تقتلوهم في أي مكان وجدتموهم فيه، وبأن تخرجوهم من الديار التي أخرجوكم منها، فإن ذلك أقل ما تفعلون وأهون ما يجب عليكم نحو هؤلاء الظالمين الكافرين المعتدين، والله إننا نجد أن هذه الآية لو أنزلت اليوم، فإنها تمس قضايانا بقوة وتحلل أوضاع الصهاينة الفاجرين بكل دقة، وتفرض علينا قتال هؤلاء المعتدين من أجل الحفاظ على ديننا وعلى أنفسنا وعلى عزتنا المستمدة من هذا الدين الحنيف، والعمل به وبتعاليمه السمحة، وهنا أرى من الواجب أن أذكر قول الله تعالى: ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيُقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا﴾ (٧٤) وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا من لدنك نصيرًا (٧٥) الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفًا ﴿ (سورة النساء، الآية ٧٤-٧٦).

فلقد أمر الله تعالى المؤمنين في أولها أن يقاتلوا الكافرين وأعداء الدين الذين يحرصون على إطفاء نور الله وعلى صد المؤمنين عن سبيله والقضاء عليهم إن وجدوا سبيلًا لذلك. فعلى المؤمن الصادق الذي يبيع الدنيا مبتغيا شراء نعيم الآخرة أن يقاتل.. يقاتل ولا يستسلم، وأن يهاجم، أن يهاجم ولا ينتظر حتى يغزى في عقر داره، وهو ضامن على ربه أنه يجزيه خير الجزاء، سواء قُتل أم لم يقتل.

أما في الآية الثانية فنجد تهييجًا وإثارة للمؤمنين بطريق الاستفهام عن معنى: وكيف يتسنى لكم تحت نير الظالمين فيها، مع علمكم بأن هؤلاء المستضعفين يتضرعون إلى ربهم ويستغيثون كي ينجيهم ويخرجهم مما هم فيه من الضيق والحبس، على يد ولي نصير تأخذه الحمية من أجلهم،

وتدفعهم أخوة العقيدة لاستنقاذهم ويشعر بالألم والحسرة والحزن إذا لم ينقذهم من ضيقهم وحبسهم وعذابهم تحت أيدي عدو الله وعدوهم.

ثم ذكر الله تعالى في الآية الأخيرة قاعدة عامة جديدة، كفيلة بأن تضع المؤمنين أمام واجبهم نحو دينهم ونحو إخوانهم، فأخبر تعالى أن من شأن المؤمنين أن يقاتلوا ويحملوا السلاح في سبيل الله ومن أجل طاعته ورضاه حتى يجعلوا كلمته هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، ويرفعوا رأس إخوانهم المؤمنين ويمكنوهم من الحياة بعزة وسيادة وحرية، ما داموا يستطيعون ذلك. أما الذين كفروا فشانهم أن يقاتلوا في سبيل الشيطان ومبادئ الإجرام، وإعلاء كلمة الكفر ومظاهر الفسوق والفجور والضلال، وإذا كان الكافرون حريصين على نصر باطلهم وشيطانهم فإن المؤمنين يجب أن يكونوا أشد حرصاً على قتال الكافرين المعتدين من أجل حقهم، ومن أجل إخوانهم المعذبين في الأرض، لأنهم يستندون إلى الحق، ويعملون بالحق، وينتصرون للحق، فهم بذلك أقوى من عدوهم الذي لا سند له ولا هدف لحمايته. ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ (النساء: ٧٦).

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثأقلمت إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل﴾ (٣٨) إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضره شيئاً والله على كل شيء قدير﴾ (سورة التوبة، الآية ٣٨-٣٩).

أوضح المفسرون أن ما جاء في الآية الأولى هو توبيخ على ترك فريضة الجهاد، وعتاب على التقاعس والتقاعد عن المبادرة إلى الخروج ومعنى (اثأقلمت إلى الأرض) ثأقلمت وتكاسلتم مائلين إلى الشهوات والنعيم الأرضي الفاني الزائل. لذلك فإن الذين ثأقلموا على الجهاد بدون عذر هم الذين أخذوا إلى الأرض واتبعوا الشهوات الدنيا، ورضوا بالحياة الدنيا بدلاً من الآخرة

ونعيمها وجنانها، وما بها من خير لا يمكن أن يكون إلا متاعاً فانياً زائلاً لا يساوي شيئاً من متاع الآخرة.

وقد أوضح المفسرون أن ما جاء بالآية الثانية هو تهديد ووعد مؤكد موجه إلى من ترك فريضة الجهاد ورضي بالحياة الدنيا بدلاً من الآخرة، فوجب بمقتضاها النفير إلى الجهاد والخروج إلى ملاقات الكفار ومقاتلتهم حتى تكون كلمة الله هي العليا، وأن الوعد المذكور هو وعيد بعذاب يقع في الدنيا قبل الآخرة، بدليل ما بعده وهو قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ ولذلك اعلم أيها المجاهد أن ما تهاون المسلمون في أمر الجهاد إلا ركبهم عدوهم واستذلهم ونهب أموالهم واحتل ديارهم ومزقهم شر ممزق. ولذا فإن المراد من هذه الآية هو وجوب ذلك ولا يستلزم وجود إمام وخليفة، ولا يجب انتظار أمر الحاكم فيه، لأن دفع قوة الشرك على المستطيع أمر واجب شرعاً وحكماً. ولقد قال الواحد القهار في كتابه الفرقان ﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ (سورة التوبة، الآية ٤١).

فإن تفسير هذه الآية الكريمة ينضوي على أهمية كبيرة جداً كما أوضح القرطبي. في هذه الآية أحكام تتصل مباشرة بحاضرنا وتجب على كثير من التساؤلات المطروحة في عصرنا هذا، عصر تخاذل المسلمين ونكوصهم وابتعادهم عن أداء فريضة الجهاد، واستسلامهم المخزي لعدوهم، تاركيه يفعل بهم ما يشاء ويحكم فيهم بما يريد، حتى صاروا أضحوكة هذا الزمان وهذا العالم، وسخرية التافهين ومن لا وزن له.

فمعنى قوله تعالى: ﴿خفافاً وثقالاً﴾ أي انفروا جماعات متفرقة أو جماعة واحدة وجيشاً واحداً، وانفروا حال كونكم نشاطاً وغير نشاط، فقراء أو أغنياء، شباباً وشيوخاً، مشاغلي وغير مشاغلي، لكم عيال أو لا عيال لكم، شجعاناً أو جبناً، فهذه كلها أمثلة لمعنى الخفيف والثقيل، واعلم يا بن القسام والإسلام

أن هناك أمورًا كثيرة جدًا يمكن استخلاصها من الآيات القرآنية الكريمة التي تحض على الجهاد والقتال، إلا أنني وجدت أن أوجزها بما يأتي:

١- هذه الآيات الكريمة تأمر بقتال من يقاتل المسلمين فعلا، أي في ساحات المعارك، وألا يسمح المسلم لأي فاجر بأن يعتدي عليه أو على أمة الإسلام.

٢- فريضة القتال على كل مسلم إذا استغاث به مسلم آخر من عدو للمسلمين قد اعتدى عليه، حتى يوجد العدد الكافي لصد هذا العدو الباغي الغازي، ودحره عن أرض الإسلام.

٣- إذا هجم العدو على بلد مسلم أو احتل جانبًا من جوانب بلاد المسلمين، فرض على من في تلك الجهة وهذا البلد أن يخرجوا لقتاله رجالًا ونساءً، شبانًا وشيوخًا، فقراء وأغنياء، وفرض الجهاد على كل من يقدر على القيام بأي مهمة من شأنها مساعدة المجاهدين المقاتلين مثل المداواة، وتصنيع الذخيرة، وإعداد الطعام والماء ونحو ذلك، مما يعرف بالعلم العسكري باسم الدعم اللوجستي.

٤- إن كل قتال وجهاد في سبيل طاعة الله، والعمل بدينه هو قتال وجهاد في سبيل الله، والعكس صحيح، أي أن كل قتال لا يخضع لحكم الله وتعاليم الإسلام أو أن يكون القتال يراد منه محاربة دين الله، فهو قتال في سبيل الشيطان.

٥- من يقاتل في سبيل الله فيقتل فهو شهيد له عند الله ثواب الشهداء، وإن كان له الغلبة فله ثواب المجاهدين، والله لا يضيع أجر العاملين.

٦- إذا غلب العدو على بلد إسلامي أو إذا احتلت أرض إسلامية، كما هو الحال في فلسطين التي احتلت، وندس الصهاينة قدسها وأقصاها، فإن الواجب نصره المجاهدين فيها وإلا فإن جميع المسلمين آثمون حتى يردوا العدو الصهيوني عن أرض فلسطين.

٧- إذا وقع المجاهد أسيرا في يد العدو، وطلب نصرة المسلمين، فرض على المسلمين نصرته وتحريره من قيد العدو، فإذا لم يفعلوا ولم يعمل المسلمون على تحريره وإنقاذه بالمال عبر فدائه، أو بالسلاح عبر قتال العدو حتى تحريره، فإن المسلمين آثمون جميعا.

٨- القيام للجهاد فريضة عند هجوم الأعداء واجب بغير إذن الوالدين، وبغير احتياج إلى إذن الإمام أو من ينوب عنه، لأنه دفاع عن النفس، وذلك لا يحتاج إلى إذن أحد.

٩- يعامل كل إنسان حسب نيته فيما بينه وبين الله تعالى، فمن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، حتى لو كان مع جيش أكثره يقاتل حمية وفخرا ورياء وكبرا، مادامت المعركة ضد أعداء الله، والنصر فيها هو نصر للمسلمين أحباب الله، والهزيمة فيها يقع وبالها على المسلمين أو على جزء منهم ممن تجب نصرته.

١٠- إذا هاجم العدو بلدا أو قطرا إسلاميا ولم يكف من فيه لرد العدو، فرض على أقرب البلاد إليهم أن يساعدهم حتى يوجد العدد الكافي لصد هذا العدو، ولو (استغرق ذلك جميع المسلمين) فمنطقة فلسطين يجب الدفاع عنها من قبل من حولها من دول ومناطق، وهكذا.

ومما سبق، يفهم أن تعلم أحكام القتال فرض على المسلمين، ويأثمون بترك التعلم، لأن القاعدة الفقهية هي (كل ما فرض فعله فإن تعليمه وتعلمه مفروضان) وكذلك فإن الخطأ الذي وقع فيه أكثر المسلمون بترك الجهاد يتجلى كليا، تعليما وتعلما وتدريبيا وإعدادا واستعدادا.

وإن أكبر الخطأ وأعظم الإثم يقع على حكامنا وأشباه الأئمة والعلماء الذين ينشرون بين الناس أن الجهاد والقتال للدفاع عن النفس والعرض وعن الأرض، لا يجب إلا إذا أوجدنا الخليفة، وأذن لنا هو بالقتال. فإن هؤلاء الحكام وأشباه الأئمة والدعاة والعلماء قد أجمعوا رأيهم واتفقوا مع أعداء

الإسلام والمسلمين على التثبيط عن القتال، والقيود عن الجهاد حتى تحتل كل أرض الإسلام، أعادنا الله منهم ومن أفكارهم القذرة الخبيثة.

ولذلك فاعلم يا ابن القسام أن البوصلة الإسلامية المقاومة تشير وبشكل جلي واضح، إلى أن المقاومة والجهاد في الإسلام فريضة كما عرفت، وهو ضرورة لازمة لحماية الأمة الإسلامية من أعدائها، ومن أجل أن تحيا حياة آمنة مستقرة تستطيع أن تنشر بين الناس دينها، وأن تؤدي رسالتها وتقوم بالدور الموكل إليها، وما تركت الأمة الجهاد إلا نلت، وركبها العدو وأذلها أسوأ إذلال، وما دام الجهاد في سبيل الله فرضا فإن كل أمر يتوقف على الجهاد يعتبر فرضا لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، واعلم يا ابن القسام أميرا كنت أو عنصرا مقاوما، أن التدريب على السلاح وعلى المعركة فريضة، ودراسة جميع النواحي العسكرية والحربية الحديثة فريضة على طائفة من القادة، وأن من واجبك تعلم علوم التصنيع العسكري حتى يحصل لنا اكتفاء ذاتي، واعلم أن توفير الحياة الكريمة والنفقات الإسلامية للمعركة وللمحاربين وأهليهم فريضة، وتنظيف الأمة من المسكرات والفواحش فريضة، لأنها تجلب الهزيمة وغضب الله، وأنه من الواجب عليك، بل من أهم الفرائض إعداد أقوى وأفضل الأسلحة العصرية الحديثة، حتى تستطيع الأمة مقاومة عدوها الصهيوني والانتصار عليه ودحره من فلسطين وقدها وأقصاها. وهذا كله داخل في القوة التي أمر الله تعالى بتوفيرها من أجل المعركة في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (سورة الأنفال، الآية ٦٠).

الفصل التاسع
بوصلة الفتوى الشرعية للأسير
والسجين الفلسطيني وغيره من أسرى المسلمين

الفصل التاسع

بوصلة الفتوى الشرعية للأسير

والسجين الفلسطيني وغيره من أسرى المسلمين

إما نصر يسرّ الصديق وإما شهادة في سبيل الله تغيظ العدو المحتل الغاصب.. وهناك طريق أخرى غير النصر والشهادة، وهي طريق الاعتقال والأسر، لقد قدر الله لي أن أكون أسيراً في يد قوات الاحتلال الصهيوني، وأن أمضي ما يقارب العشرة أعوام في زنزانة قبر العزل الانفرادي، ذلك القبر الذي أراد المحتل الصهيوني دفني به.. وقدر لي الله أن أحول القبر إلى خلوة فكرية وأدبية، فهناك في زنزانة قبر العزل الانفرادي كتبت وكتبت، حتى جفت أقلام الحبر ونفذ الورق.

وهناك أيضاً، وهنا أيضاً.. فأنا ما زلت أقبع بذلك القبر الانفرادي حتى الآن، فلا تعبت عليّ يا أخي أو أختي القراء، فأنا عندما أكتب لا أشعر أنني داخل زنزانة، لا والله، بل أشعر أنني أخلق هناك بين طيور الجنة.

في قبر العزل الانفرادي كانت أسئلة عديدة تدور في رأسي، وكان جلّ تلك الأسئلة يدور حول الأسرى الفلسطينيين والمعتقلين الموجودين لدى قوات الاحتلال الصهيوني، سواءً في مراكز التحقيق والتعذيب، أم في زنازين العزل الانفرادي، أم في السجون الاحتلالية.

بحثت وبحثت حتى منّ الله عليّ بأن تصلني نسخة من كتاب فضيلة العلامة الشيخ يوسف القرضاوي - حفظه الله -، وكان ذلك الكتاب تحت عنوان (فتاوى معاصرة) ولقد وجدت في قلب ذلك الكتاب أجوبةً على أسئلتني سواء المتعلقة بوضعي كأسير، أو بوضع الأسرى بشكل عام.

ووجدت أنه من المناسب بل من الواجب عليّ، أن أضع تلك الفتاوى الطيبة الشافية في كتابي (بوصلة المقاومة) لعلّ إخوتي المقاومين ينتفعون بها وينفعون غيرهم.

إما نصر يسرّ الصديق، وإما شهادة تغيظ العدو..

التساؤل الأول: ما هي حقوق الأسير على المسلمين؟

س: ماهي حقوق الأسير على المسلمين؟ وماذا يجب عليهم أن يفعلوا في سبيل تخليصه من الأسر؟

ج: يجب على المسلمين أن يبذلوا كلّ ما يستطيعونه من أجل فكّ أسراهم وتحريرهم من الأسر، وتحكّم الأعداء في رقابهم، فإذا كان الأمر يتطلب فداء بالأسرى من العدو فافدوهم وبادلوا أسرى المسلمين بأسرى العدو.

وإذا كانوا يحتاجون إلى الفداء بالمال، ادفعوا لهم من المال ما يخلصهم.. قال الإمام مالك: " يجب على المسلمين أن يفكّوا أسراهم ولو استغرق ذلك جميع أموالهم". ذكره القرطبي في تفسيره..

وقال عمر: " لئن أستنقذ رجلاً من المسلمين من أيدي الكفار، أحبّ إليّ من جزيرة العرب" (رواه أبي شيبة(ابنه) مصنف ١٢/١٨)..

ويجب على أمراء المسلمين أن يسلكوا كل سبيل تؤدي إلى فكّ الأسرى من أيدي الأعداء، ومن ذلك المفاوضة معهم، وإن كان تحريرهم يتوقف على إعلان الجهاد جاهدوا من أجل إنقاذهم، ولا سيما إذا كانوا يعانون من الإيذاء والتضييق والتعذيب والتنكيل بهم من قبل آسريهم.

قال تعالى: ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾ (سورة النساء، الآية ٧٥).

والمهم أن من فروض الكفاية على الأمة أن تخلّص أسراها، ولا تدعهم فريسةً لأعدائهم، وفي الحديث الصحيح: (أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكّوا العاني)(رواه البخاري)، ومعنى العاني هو الأسير.

فإن لم يجد المسلمون وسيلةً لإنقاذ أسراهم، فالواجب عليهم أن يدعوا الله تعالى لهم في صلواتهم وقنوتهم وخلواتهم، كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه للنفر الذين أسرتهم قريش، بعد كل صلاة.

التساؤل الثاني: تعرض الأسير للأذى بسبب الصمود وعدم الاعتراف

س: صمود الأسير، ورفضه الاعتراف، وكشف معلومات قد تؤدي إلى اعتقال بعض إخوانه من المجاهدين، أو الإضرار بهم، قد يتسبب في حدوث أذى بالغ له، وتكثيف التعذيب عليه، وربما أدى به ذلك إلى الاستشهاد تحت وطأة التعذيب القاسي، فما حكم الشرع في ذلك؟.

ج: لا شك أنّ هذا الصمود وتحمل الأذى والصبر على العذاب الشديد من الأسير، بغية إنقاذ إخوانه من الأسر والاعتقال والمحاكمة يعدّ من دلائل صدق الإيمان، ومن أعظم الأعمال التي يتقرب بها المسلم إلى ربه، فهو يفدي إخوانه بنفسه، ويتعرض لكل هذا البلاء من أجلهم، ولربما يعلم أنهم أضعف طاقة منه وأعجز عن احتمال ما يتحمّله هو من تعذيب وبلاء، فقد يعرضهم هذا لفتنة في دينهم.

إن الأسير الذي يصبر على كلّ هذا لله وحده ولدفع الضرر والأذى عن إخوانه في الله، لهو من المؤمنين الذين ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾، ولا يصبر على مثله إلاّ أولو العزم من الرجال، وقليل منهم.

وإذا كان قوله تعالى ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ (الحشر: ٩). قد نزل في مدح الأنصار والثناء عليهم، والإشارة إلى أنهم من أهل الفلاح، وقد نزل فيمن آثر بطعامه ضيوفه، وبيات هو وأهله جائعين.. فكيف بمن آثر إخوانه بنفسه وجسده ودمه وراحته؟، إن هذا لمن أعلى درجات الإيثار وأعظمها عند الله تبارك وتعالى، وأهل هذه الدرجة من أهل الفلاح والفوز برضوان الله تعالى وجنّاته إن شاء الله.

وقد عرفت من هؤلاء من سقطوا صرعى، واستعذبوا الموت في سبيل الله في السجن الحربي، ولا يكشفون ستر أخوتهم. فلا نمك إلا أن ندعو الله لهم أن يكرمهم ويعزهم أحياءً، ويغفر لهم ويرحمهم أمواتاً، فهم أحقّ بهذه الآية الكريمة.. قال تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً(٢٣) ليجزى الله الصادقين بصدقهم﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٢٣-٢٤).

التساؤل الثالث: اعتراف السجين على إخوانه تحت التعذيب الشديد

س: ما هو حكم من يعترف على غيره من إخوانه تحت وطأة التعذيب الشديد؟ وهل تجب عليه كفارة؟

ج: من اعترف على أحدٍ من إخوانه أمام المحقق، تحت وطأة التعذيب الشديد المكثف، الذي نفذ صبره معه وعجزت طاقته عن استمرار احتماله، فهو داخل في باب (المكروه) الذي فقد إرادته في هذه الحالة -وهي مع العقل أساس التكليف- وقد رخص القرآن للمكروه أن ينطق بكلمة الكفر، فراراً من شدة الإيذاء، وفداحة التعذيب، ما دام قلبه مطمئناً بالإيمان، كما حدث لسيدنا عمّار بن ياسر، حين نطق مكرها بمدح آلهة المشركين، وذم النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك كله بطرف لسانه، وقلبه على عكس ذلك، فنزل في ذلك قول الله تعالى:

﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرًا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾ (سورة النحل، الآية ١٠٦).

وجاء في الحديث النبوي: "إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكروههم عليه" (ابن ماجة- رقم ٢٠٤٥ عن ابن عباس وفي الزوائد- إسناده صحيح).

والمطلوب من المسلم في هذه الحال، أن يوطن نفسه على الصبر واحتمال الأذى ما استطاع، فإذا نفذ صبره وطاقته فاعترف، فلا إثم عليه إن شاء الله،

ولا كفارة، إلا أن يسأل ربه العفو والمغفرة عما صدر منه، فهذا محمودٌ ومطلوبٌ في كلِّ حال.

التساؤل الرابع: إضراب الأسير عن الطعام

س: ما حكم إضراب الأسير عن الطعام في سجنه وأسرته؟ وهي الطريقة الأكثر فعالية وتأثيراً على أسريه والتي لا يملك غيرها (الأسير) للمطالبة بحقوقه، ولفت الأنظار إلى معاناته الطويلة، وقد عُرف أن هذا الأسلوب يغيظ الاحتلال حسب التجربة.

ج: لا بأس للأسير بالجوع إلى هذا الإضراب، ما دام يرى أنه الوسيلة الفعالة والأكثر تأثيراً لدى الأسيرين، وأنه الأسلوب الذي يغيظ الاحتلال وأهله، وكل ما يغيظ الكفار فهو ممدوح شرعاً، كما قال تعالى في مدح الصحابة: ﴿يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾ (سورة الفتح، الآية ٢٩).

وقال في شأن المجاهدين: ﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح﴾ (سورة التوبة، الآية ١٢٠).

فإذا كان هذا الأسلوب يغيظ الكفار، ويسمع صوت الأسرى المظلومين والمهضومين والمنسيين للعالم، ويحيي قضيتهم ويساعدهم على نيل حقوقهم، فهو أمر مشروع، بل محمود، بشرط ألا ينتهي إلى الهلاك والموت، فالمسلم هنا يتحمل ويصبر إلى آخر ما يمكنه من الصبر والاحتمال، حتى إذا أشرف على الهلاك والموت بالفعل، قبل أن يأكل، وأن ينجي نفسه من الموت فإن نفسه ليست ملكاً له. وقد قال تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم

رحيماً﴾ - (سورة النساء، الآية ٢٩).

التساؤل الخامس: صلاة الأسير أو السجين

س: كيف يصلي الأسير أو السجين في فترة التحقيق معه، وهو مقيد اليدين والرجلين ومثبت بالحائط، ورأسه مغطى بكيس، وعلى غير طهارة من الحدثين، بل ربما حرم من قضاء الحاجة بالطريقة المعتادة عدة أيام وهو على هذه الحالة؟

ج: الحمد لله.. ونسأل الله تعالى لإخواننا الأسرى والمسجونين أن يفك بفضلهم أسرهم، ويجبر برحمته كسرهم، ويتولى بعنايته أمرهم، ونقول جواباً عن السؤال: الصلاة واجبة على المسلم في كل حال: في الصحة والمرض، في العافية والبلاء، في الحضر والسفر، في السلم والحرب، لا عذر لترك الصلاة بحال من الأحوال ما دام واعياً.

قال تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين (٢٣٨) فإن خفتم فرجالاً أو ركبانا فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٣٨ - ٢٣٩)

فأشارت الآية أن المسلم يصلي - في حالة الخوف أي عند اصطلاء الحرب وقيام القتال بالفعل - راجلاً (ماشياً) أو ركباً، كيف استطاع.. أي يصلي في مصفحته أو دبابته أو طائرته حسب الاستطاعة.

وقال صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين: "صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب" (رواه البخاري عن عمران بن حصين ١١١٧).

وقال تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ (سورة التغابن، الآية ١٦).

وقال الرسول الكريم: "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم".

وقال تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٨٦).

ومن المقرر المعلوم في دائره الفقه الإسلامي: "أما الشروط المطلوبة لصحة الصلاة، مثل الطهارة من الحدث، والطهارة من الخبث، واستقبال القبلة، وستر العورة، وغيرها من شروط الصحة، تسقط عند العجز".

ومثلها الأركان مثل:

القيام والركوع والسجود وغيرها، ومن فقد الطهارة بالماء وقدر على التيمم صلى بالتيمم، وأغناه عنها أي عن الوضوء، وعن الغسل جميعاً، ومن كان لا يستطيع التيمم كما في الحالة المسؤول عنها، فقد أسماه الفقهاء (فاقد الطهورين) أي الماء والتيمم، فهو يصلي بدونهما ولا حرج. قال العلامة ابن رجب في (جامع العلوم والحكم) معلقاً على حديث: "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم": دليل على أن من عجز عن فعل المأمور به كله وقدر على بعضه، فإنه يأتي بما أمكنه منه، وهذا مطرد في مسائل.

(جامع العلوم والحكم ١/٢٥٦ - طبعة الرسالة)

ومن عجز عن استقبال القبلة مثل السجين المثبت بالحائط ولا يستطيع التوجه إلى القبلة، صلى كيف استطاع.

ومن عجز عن الصلاة قائماً أو قاعداً، بركوع وسجود، صلى بالإيماء مشيراً برأسه أو بحاجبه كيف استطاع وهذا فرضه، ولا يكلف الله غيره.

قال تعالى: ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ (سورة الحج: ٧٨).
فينبغي على المسلم (وهو في كربه هذا) أن يعتصم بالله ويستعين بالصلاة، كما يستعين بالصبر، فهما عدته في معركته مع أعداء الله.
كما قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾ (سورة البقرة، الآية ١٥٣).

ولا عذر لترك الصلاة إلا في حالة (الغيوبة) التي يفقد الإنسان فيها الوعي، ويسقط عنه التكليف، ويرفع عنه القلم.. والله أعلم.

التساؤل السادس: قبلة الأسير أو السجين في زنزانتة

س: كيف يصلي الأسير الذي يقيم في زنزانتة معلقاً ولا يعرف اتجاه القبلة؟
ج: الاتجاه إلى القبلة في الصلاة: فرض من الفرائض الأساسية التي تثبت بالكتاب والسنة والإجماع.

قال تعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ - (سورة البقرة، الآية ١٤٤).
وثبت توجه الرسول وأصحابه إلى القبلة في كلّ صلاة بالسنة القولية والعملية المتواترة، كما أجمعت على ذلك الأمة إجماعاً مقترناً بالعمل في كل القرون.

وعلى المسلم إذا أراد الصلاة أن يتحرى جهة القبلة، فيصلي إليها إن كانت معلومة، أو يسأل أحداً من أهل المكان إن كان يجده أو يستخدم بوصلة من ذلك النوع الذي يشير إلى جهة القبلة في أي بلد، أو يجتهد هو بعلامة معينة كأن يرى الشمس بالنهار أو القمر أو نجماً معيناً بالليل، يمكن أن يهتدي به إلى الجهة مثل النجم القطبي، أو غير ذلك، فإن لم يجد دليلاً ولا علامة تساعد - ولو ظناً - على معرفة الجهة فليصل إلى أي جهة شاء، وفي مثل هذا نزل قوله تعالى: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم﴾ (سورة البقرة، الآية ١١٥).

ومن المعلوم أن فروض الصلاة من الشروط والأركان إنما تجب وتلزم عند القدرة وتسقط عند العجز.. قال تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ (التغابن، ١٦).
وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: " إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم " متفق عليه.

وإذا عرف القبلة بعد ذلك فلا إعادة عليه، فقد أدى الواجب عليه، وصحت صلاته بذلك فلا مبرر لإعادتها.. والله أعلم.

التساؤل السابع: صوم الأسير أو السجين

س: ما حكم صيام الأسير أو السجين الذي يزرع تحت الاستجواب والتحقيق؟
ج: الصوم حرمان من الشهوات، وإمساك وامتناع عن المفطرات من الطعام والشراب ومباشرة النساء، بنية التقرب إلى الله تعالى، ويستطيع المسلم أن

ينوي الصيام على أي وضع كان ولو كان أسيراً أو سجيناً، ما دام قد تحقق
ركنا الصيام وهما الإمساك والنية.

ولكن قد يعجز المسلم السجين أو الأسير عن الصوم إذا كان لا يؤتى له
بالطعام إلاّ أثناء النهار، ولا يسمح له بتأجيل تناوله إلى الليل فهناك يكون
معذوراً في الإفطار، ولا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها، وما جعل عليكم في الدين
من حرج.

التساؤل الثامن: الحج عن الأسير

س: هل يجوز أداء الحج عن الأسير؟ وهل يتوجب عليه طلب الإذن منه قبل
ذلك؟.

ج: الأصل في الحج أنه عبادة ذاتية شخصية، يؤديها الإنسان بنفسه وبدنه.
قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ (سورة النجم، الآية ٣٩).

ولكن الله تعالى - فضلاً منه وكرماً ورحمة- رخص في بعض العبادات أن
يؤديها الإنسان عن غيره في حالات معينة، مثل أن يموت الإنسان ولم ييسر
له أن يؤدي فريضة الحج، وخصوصاً إذا كان مستطيعاً إليه سبيلاً ثم قصر،
فتفضل الله سبحانه بإجازة أن يحجّ عنه ابنه أو قريبه كما جاء في الحديث
الصحيح.

ومثل الحج عن الميت: الحج عن الشيخ الكبير الذي لا يستطيع أن يسافر
لأداء فريضة الحج، لا بالسيارة ولا بالطائرة، ولا يمكنه أن يؤدي أركان الحج
ماشياً أو راكباً أو محمولاً، ومثله المريض مرضاً مزمناً لا يرجى شفاؤه وفق
سنة الله المعتادة، مثل المشلول ونحوه.

أما الأسير فليس من هؤلاء، ويرجى أن يفكّ الله أسرهم، فدوام الحال من
المحال، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نَدَاوَلَهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ - (سورة آل عمران، الآية ١٤٠).

ويجب ألاّ نفقد الأمل في الغد، والثقة بالنصر، ولا نبيس أبداً.. قال تعالى:

﴿إِنَّهٗ لَا يَبۡيۡسُ مِنْ رُوحِ اللّٰهِ إِلاَّ الْقَوۡمَ الكَافِرِونَ﴾ (سورة يوسف، الآية ٨٧).

ومن هنا يكون قياس الأسير على الشيخ الكبير، أو المريض مرضاً مزمنًا مقعدًا، قياس في غير موضعه، وهو غير صحيح. فلا يجوز إذا الحج عن الأسير لا بإذنه ولا بغير إذنه.. والله أعلم.

التساؤل التاسع: الأضحية عن الأسير أو السجين

س: هل تجوز الأضحية عن الأسير أو السجين بتوصية منه أو بغير توصية؟
ج: الأضحية عند جمهور الفقهاء سنة، وعند أبي حنيفة واجب على أهل اليسر، وإذا كان هذا حكمها فلا ضرورة أن يضحّي أحد عن أحد، وإنما أناب الشرع في الفرائض فضلًا من الله ورحمة، ولكن لو كان عنده مال، يمكن أن يوصي من يشتري له الأضحية ويذبح عنه، وهذا بتوجيه منه ولا بد، إذ لا يجوز لأحد أن يتصرف بماله إلا بإذنه.

التساؤل العاشر: طلب زوجة الأسير الطلاق لسجنه

س: امرأة حكم على زوجها بالموئيد (وأحيانًا أكثر من الموئيد خمسين سنة أو مئة سنة.. إلخ)، فهل يجوز لها أن تطلب الطلاق من الزوج؟
ج: الأولى بالزوجة في مثل حالة الأخوة في فلسطين وجهادهم ضد العدو الغاصب، أن تصبر على زوجها وتنتظر عودته إليها بإذن الله، مكيدة للعدو وإشعالًا لناره وغيظًا له، فالمعركة يخوضها الشعب الفلسطيني كله برجاله ونسائه، ومن نصيب المرأة في الجهاد الصبر على الزوج الأسير والسجين، ولا سيما إن كان معها أولاد منه، فإن لم يكن معها أولاد أو كانت الزوجة شابة في أوائل الحياة الزوجية، فلا بأس أن تطلب الطلاق من الزوج الذي حكم عليه بالموئيد أو نحو ذلك، كما في بعض المذاهب الإسلامية إذا غاب الزوج عن زوجته أربع سنين فأكثر، بسجن أو غيره.. والأفضل في هذه الحالة: أن يبادر الزوج الأسير إلى أن يمنحها الخيار، ويجعل أمرها بيدها دون أن تضطر إلى طلب الطلاق من المحكمة، وهذا هو الأكرم للعلاقة بين

المسلم والمسلمة، وخصوصًا إذا كان من أهل الدعوة والجهاد، وهذا ما أعلمه من تصرّف الأخوة الصادقين.

وقد عرفت في مصر أخوات صبرن على أزواجهن حتى خرجوا من السجن بعد عشر سنين، أو بعد عشرين سنة، ورفضن طلب الطلاق ليتزوجن برغم ضغط أهلهن وأقاربهن عليهن.

وعرفت بعضًا منهن خضعن لهذه الضغوط، وطلبن الطلاق، وحصلن عليه وتزوجن، ثم تغيرت الأوضاع السياسية، فأفرج عن الزوج المسلم، فكانت حالة الزوجة في غاية الضيق والكرب وبخاصة أنه كانت بينهما بنت.

أبو أسامة البرغوثي

عبد الله غالب عبد الله البرغوثي

من أقوال المهندس عبد الله البرغوثي

لا تنسوا المهندس في عتمة عزلته لقد كان فيكم للحرية عنوانا

تم بحمد الله